

ظُرْفَاءُ لِبْنَان

إعداد
انطوان القوّال



بيروت

ظُرْفَاءُ لَبَنَان

- * ظرفاء لبنان .
- * تقديم وإعداد: أنطوان القوال .
- * الطبعة الأولى: آذار ١٩٩٣ .
- * جميع الحقوق محفوظة .
- * الناشر: بيسان للنشر والتوزيع .
- * العنوان: ص.ب. ١٣/٥٢٦١ بيروت - لبنان . هاتف ٨٦٥١٢٦ .

المحتويات

| | | |
|-----|-------|-----------------------|
| ٧ | | الاهداء |
| ٩ | | المقدمة |
| ١١ | | الدكتور شاكر الخوري |
| ٣٣ | | اسعد رستم |
| ٥٣ | | اميل لحود |
| ٦٩ | | مارون عبود |
| ٨٣ | | الشيخ يوسف الخازن |
| ٩٥ | | الشيخ فريد الخازن |
| ١٠٧ | | سعيد فريحة |
| ١١٩ | | نجيب حنكش |
| ١٣١ | | اسكندر العازار |
| ١٤١ | | اسعد السبعلي |
| ١٥٣ | | عمر الزعني |
| ١٦٩ | | متفرقات |
| ٢٠٧ | | فهرس المصادر والمراجع |

الاهداء

إلى أبي محسن، رحمه الله
كان من أهل الظرف، سريع الخاطر
كان حلو المعشر
زهرة المجالس.

انطوان

المقدمة

الظريف هو الشخص الذي يتمتع بالذكاء المقرون بالبراعة، ويسرعة الخاطر، والكياسة واللباقة في التصرف والقول والمظهر. وهو إلى ذلك فكه ضحوك، في نكاته، وردوده، وتعليقه على قول أو حدث. وكثيراً ما يشيع كلامه، ويصبح قولاً سائراً يُردّد في مثل المناسبة التي قيل فيها. جاء في كتاب «الظرف والظرفاء» للوشاء:

«اعلم أنّ من كمال أدب الأدباء، وحسن تظرف الظرفاء، صبرهم على ما تولدت به المكارم، واجتنابهم لخسيس المآثم، وأخذهم بالثيم السنيّة، والأخلاق الرضيّة... يتسرّعون إلى الأمور الجليلة، ويتبطّأون عند الأشياء الرذيلة، فهم أمراء مجالسهم، بهم يفتح عسر الأغلاق، وبهم يتألف متنافر الأخلاق، تسمو إليهم الأماق، وتنثني عليهم الأعناق، ولا يطمع في عيبيهم العائب، ولا يقدر على مثالبهم الطالب...».

ما يشيعه الظريف من ضحك وفرح، يضيف سحراً وجمالاً على الحياة. يقول أنيس فريحة:

«إنّ عالماً لا ضحك فيه عالم عبوس متجهّم، وحياة لا مرح فيها ولا ضحك حياة جديدة. نكهة العيش في الضحك، وأطيب أوقات العمر سويعات نقضيها في الضحك والمرح...».

إنّ اللبباني المرح بطبعه، ترك إرثاً غنياً من الفكاهة، زاده غني «وقيمة» ظرفاؤه، من أهل أدب وسياسة ودين، بما تركوه من نكات وفكاهات، وعبارات غدت مضرب مثل، فكتبت بها لهم الحياة. كانوا وظلّوا في ذاكرة الناس وقلوبهم، لظرفهم ومرحهم.

ظرفاء لبنان كانوا لون الفرح عندنا، وبعضهم اليوم في البال. نستعيدهم
بسمة، تضيء ظلمة، وذكرى تزيح همماً. وما أحوجنا إلى هاتين البسمة
والذكرى!

لقد تتبعتهم في ما قالوا وكتبوا، وفي ما قيل عنهم وكتب، فاخترت ممّا
قرأت وجمعت، فكان هذا الكتاب.

إنه كتاب ظريف ضاحك لوطن آن له أن يضحك.

اهدن - مطلع عام ١٩٩٣.

انطوان القوأل



الدكتور شاعر الخوري رائد من رواد النهضة في لبنان والبلاد العربية، نظراً إلى علمه وثقافته، وبراعته وتأليفه في الطب.

ولد شاعر سنة ١٨٤٧ في بكاسين إحدى قرى قضاء جزين في لبنان الجنوبي. والده يوسف الخوري، كاتم أسرار سعيد بك جنبلاط. وأمه نور ناصيف من جزين.

بدأ دراسته الأولى في القرية، فتعلم مبادئ القراءة والكتابة باللغتين العربية والسريانية. ثم انتقل، طلباً للعلم، من بكاسين إلى بلدة المختارة، فمشوشة حيث أدخل مدرسة المطران، وكان ذلك سنة ١٨٥٨.

عندما اشتعلت الفتنة سنة ١٨٦٠ بين النصارى والدروز، هرب شاعر مع أبويه وإخوته إلى النبطية، ومنها إلى صيدا. ولم تعد العائلة إلى مسقط رأسها إلا بعد إخماد نار الفتنة.

في سنة ١٨٦١ أرسل شاعر إلى مدرسة عينطورا، فدرس العربية والفرنسية واللاتينية. ثم غادرها لينتسب إلى المدرسة الوطنية، مدرسة المعلم بطرس البستاني. وفيها نهل العلم والأدب على يد أساتذة كبار أمثال الشيخ ناصيف اليازجي وابنه ابراهيم، ونظم أول شعره الغزلي.

أنهى دراسته في المدرسة الوطنية، فعاد إلى بكاسين ليفتح مدرسة مع شقيقه، يعلم فيها أولاد قريته. إلا أنه ترك التعليم، ليعمل في مشاغل التحرير مدةً، سافر بعدها إلى القاهرة سنة ١٨٦٧، فدخل إلى كلية الطب سنة ١٨٦٨ ونال الشهادة بعد ست سنوات من الدرس والتحصيل والاجتهاد. ويذكر أنه في

سنة ١٨٧٤ رافق الأميرة حسن جهان أرملة الأمير بشير الشهابي الثاني الكبير من مصر إلى لبنان، ثم قفل راجعاً إلى القاهرة.

عاد إلى لبنان، ومارس مهنته بنجاح. كذلك مارسها في عكا ودمشق. لكنه عاد واستقر في بيروت بعد زواجه سنة ١٨٧٩ من مريم خليل التيان.

في بيروت عمل طبيباً في المستشفى الفرنسي الحديث. ثم علم الطب في مدرسة الطب الفرنسية للجراحة. وظلّ فيها حتى سنة ١٩٠٨. وفي ٢٤ آب ١٩١١ توفي الدكتور شاكرا الخوري، الذي ترك من آثار قلمه وظرفه ما يبقيه حياً على مرّ السنين، نخصّ بالذكر كتابه «مجمع المسرات»، وهو اسم على مسمى.

كان شاكرا الخوري ناقماً على سيئات الأفراد وآفات المجتمع، وكان يعبر عن هذه النقمة ببنكاته اللاذعة وظرفه المستحب.

يقول عنه الدكتور الياس قطار في مقدمته «لمجمع المسرات»:

«كان شاكرا الخوري طبيباً للنفس وللجسد، يداوي الناس بظرفه وبنكاته التي تسرّ الفؤاد بالرغم من مرارة الواقع الاجتماعي الذي تمثله».

سائق الأظعان

يقول الدكتور شاکر الخوري :

في سنة ١٨٨٣ كنت موجوداً في قرية الحدث لمعالجة الأمير يوسف ابن الأمير سليم عبد الله شهاب، الذي كان قاطناً الجية ووالدته الستّ سعدا بنت الأمير بشير الكبير مع امرأته الثانية حسنجهان، التي رافقتها من مصر إلى سوريا. . . وفي مدّة إقامتي هناك حدث يوماً أنني كنت مرافقاً الأمير حافظ والأمير توفيق المشهورين بالحمق والبلادة وكنت أمشي خلفهما تأدّباً لأنهما أمراء. ففي أثناء سيرنا قابلت أحداً صدقائي الظرفاء وسألني عنهما فقلت ارتجالاً :

سِرْتُ بالميرَيْنِ توفيق الفتى وأخيه حافظِ ذاك الصَّبِي
نادتِ النَّاسُ عليَّ وإلى سائقِ الأظعانِ يَطْوي البِدْطِي

مُنْعِماً عرَّجَ على كُتبانِ طِي*.

* مجمع المسرات ص ٣٣٨.

القس المفسد

كان أحد القسوس كثير الحركة والفساد، وكان لا يرى اثنين مُتَفَقِّين إِلَّا
أَبْعَدَهُمَا، أو بَلَدَيْنِ مُتَوَافِقِينَ إِلَّا أَسَدَّهُمَا، ومع ذلك يدعي التقي والمعرفة
بالإنجيل وتفاسيره. وفيما كان يفتخر بهذه العلوم المقدسة، سمعه الدكتور
شاكر الخوري فقال فيه:

وَقَسٌّ لِفَسَادِ غَدَا إِمَامَا
وَلَمْ يَقْضِ الصَّلَاةَ وَلَا الصَّيَامَا
وَلَمْ يَحْفَظْ مِنَ الْإِنْجِيلِ قَوْلًا
سِوَى «مَا جِئْتُ كِي أُلْقِي سَلَامًا»*

* مجمع السرّات ص ٣٣٩.

رابع المستحيلات

دُعي شاعر الخوري يوماً إلى طعام عند أحد الأمراء ويدعى سعيد، فتعجب من هذه الدعوة، لأن الداعي معروف ببخله. ومهما يظهر الكرم فلا بد من أن يظهر على مائدته ما يدل على هذا البخل. قال شاعر:

فحين تناولنا الطعام قَدّموا لنا شكلاً يُدعى المحشي، وهو من الكوسا أو الباذنجان أو ورق العنب، ويتكوّن من الأرز واللحم. أمّا هذا المحشي فكان خالياً من اللحم، وأشعرت بذلك من طعمه، غير أنّي أردت أن أتحقّق ذلك، ففتحت واحدة وإذا بطني استحال إلى حقيقة، فخطرت على بالي مستحيلات العرب وهي الغول والعنقاء والخلّ الوفي إذ يزعمون أنّها اسم بلا جسم، فارتجلت قائلاً:

قد قيل إنّ المستحيل ثلاثة
والآن رابعة أنت بمزيد
الغول والعنقاء والخلّ الوفي
واللحم في محشي الأمير سعيد*

* مجمع المسرّات ص ٣٤٠.

أميرة القمل

يروى شاكر الخوري هذه الحادثة :

لما كنت في الحدث لعيادة الأميرة سعدة بنت الأمير يشير الكبير وزوجة الأمير سليم عبد الله التي كانت مصابة بالبول السكري ومعها نكروز في العظم الصدغي ، مررت ذات يوم على دار وبرفتي الخوري حنا ناصيف خادم كنيسة الحدث. . . فرأينا على باب الدار أميراً شيخاً جليلاً لم أكن أعرفه من قبل، فدعانا ولشدة إلحاحه علينا أجبنا دعوته، وكان ذلك وقت العصر، ودخلنا إلى غرفة فيها ديوان بالجهة القبليّة وآخر بالجهة الغربيّة، ورأينا أميرة عمرها سبعون سنة تقريباً، وقفت لنا وعند وقوفها سعلت لأنها كانت مصابة بسعال مع ربو وجسمها سمين للغاية. فلما أبدت هذه الحركة ضربت مدفعاً بصوت جبير لاستقبالنا، وسعلت وعطست، وكان يُسمع مع سعالها دويّ قويّ، فكلفت الخوري أن يتقدمني ففعل، وسلّم على الأميرة، ثمّ جلسنا على الديوان، وكانت المدافع تتكرّر مع كلّ سعال. أخيراً حكّت رأسها بشغف وجالت بين أصابعها وجمعت أظافر الابهام وفقسستها، فعرفنا أنّها قتلت قملة. ولما رأيت عملها أخذت ورقة وقلم رصاص وبدأت أكتب، والأمير والأميرة ملتحيان بالحديث مع الأب حنا. وبعد مدّة سألوني عن سبب سكوتي أجبت بأنني أسطر بعض حسابات أخشى أن أنساها، وبعد برهة استأذناً بالذهاب، وكان وداعنا كاستقبالنا بدويّ المدافع. ولّما خرجنا قرأت للخوري القصيدة التي نظمتها ارتجالاً، فأغرب في الضحك، وأخذ نسختها، وتبّلتها الأميرة، فنظّفت ذاتها، وصار إذا حضر أحد مجلسها وأشعرت بالسعال تخرج من المجلس، واستراحت من نهش رأسها، لأنها غسلته، وحسب رواية الأب لم يبق في رأسها شيء ممّا كانت تعمله، وكانت القصيدة دواءها الوحيد لذلك

الفاعل وقد جرت الحادثة في ١٦ آب سنة ١٨٨٣ في الحدث، والقصيدة هي :

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| جلسنا اليوم في العَصْرِ | بقصر أميرة العَصْرِ |
| أميرة ماجدٍ فَتَكَّتْ | بجيشِ القمَلِ بالعَصْرِ |
| إذا ما عَطَسَتْ قَمَطَتْ | تنشِ القمَلِ للنَّحْرِ |
| هناك النَّفْخُ منتصبٌ | بأيديها على شَبْرِ |
| بظفرِ البَاهِمَيْنِ غدا | قصاصُ القمَلِ بالكُسْرِ |
| ترى القتلى ممدَّةً | هنا شَطْرُ على شَطْرِ |
| ويطنُ الكفُّ ممتليءٌ | من الأسرى على الصَّدرِ |
| بدتْ لِلْفَقْسِ فَرْقعةٌ | ولم نَعْلَمْ ولم نَدْرِ |
| أهذا الصَّوتُ من دَبْرِ | أم الأصواتُ من نَقْرِ |
| سعالٍ ثمَّ فرقعةٌ | ورعدٌ من ورا الظَّهِرِ |
| وجيشُ القمَلِ في هَرَبِ | وفي نحرٍ وفي أسْرِ |
| ولا مَلْجأ لِمَهْرَبِهِ | وقد أبقتهُ في حَجْرِ |
| عليه الكفُّ كوردون | أقامتها على النَّحْرِ |
| ظَنَّنا الأرضَ مرجفةً | كأنَّ القمَلِ في الحَشْرِ |
| فويلُ القمَلِ إنَّ وَقَعَتْ | بِكفِّ أميرة العَصْرِ* |

* مجمع المسرات ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

شاكر الخوري ومدام فريج

مدام موسى أفندي فريج شغلت بيروت نصف جيل، كما يقول شاكر،
بجمالها وذكائها وثقافتها ولطفها وإنسانيتها. فهي إذا وجدت في مجلس،
يمكنها أن تكلم الافرنسي والايطالي والنساوي والانكليزي والالمانى
والعربي كلاً بلغته. ولو اجتمع مائة شخص معها يرى كلُّ أنْها تلتفت إليه فهذا
تشغله بحديثها، وذاك بنظرها إليه، والآخر بالتفات، والبعض بتبسّم، حتى
كأنْها تكلم الجميع بوقت واحد.
يقول شاكر:

وزرت مدام فريج يوماً فدار بيننا الحديث على الشعر العربي. قالت إنَّ
للشعر العربي مديحاً ومبالغاته لا يقبلهما عقل بشري، فيقولون لفلانة أنتِ
الشمس والقمر وما أشبه، كما ترى بالأشعار التي نظمها لي حتّى بك أبو
صعب، ومع أنّه شاعر مجيد اقرأ قصيدته وانظر ما فيها من المبالغة والغلو.
فأخذتها منها وقرأتها، وكنت أفكّر بموضوع، فكتبت بقلم الرصاص على
الورقة اسفل القصيدة هذين البيتين:

ما شَبَّهوا بالبدر وجهك بالسَّنا
بل أنتِ حقاً للشموسِ ضياءُ
لكنْ لُبُّعدِ مَنالِها ووصالِها
فَلأنتُما عند الوصالِ سَواءُ

فطربت لهما لأنّهما أعظم ما تمدح بهما النساء، وشكرت لي هذا
المعنى المبتكر الموافق المقام.

وفي سنة ١٩٠٧ أصابني نزلة صدرية ألزمتني لترك بيروت قبل ميعادي،

وسألت عن تغيبي بعض الأطباء فقال لها إلى إني أصبت بالجنون، وما ذلك إلا لتعطيل شغلي، وانتشر هذا الخبر سريعاً في بيروت. ففي أحد الأعياد توجهت لمعايذتها كالعادة، وكان هناك المركز موسى أفندي، وجمهور غفير، فلما رأني شهقت، وقالت: بلغني أنك جُننت، فما هذه الإشاعة عنك؟ أجبت: لو كنت معرضاً لهذا المرض لكنت جُننتُ يوم رأيتك أول مرة.

فضحكت وضحك الجميع لهذا الجواب*.

* مجمع المسرات ص ٣٣٣ - ٣٣٤.

لو مددت يدك إلي . . .

يعقوب شاب ذكي جداً، درس الطب بالكلية الأميركية في بيروت، وهو شاعر أديب وطبيب ماهر، ومن نحسه أصيب بألم شديد في رأسه، وكانت تحكمه نوبات في الاسبوع، يسجن خلالها في البيت. ولما تذهب عنه النوبة يعود إليه عقله.

أخيراً اختلّ شعوره، وكان فصيحاً جداً، وقبل أن يصل إلى هذه الدرجة من المرض، اجتمع به الدكتور شاكر الخوري في الحدث قرب بئر الجسر، فقال له يعقوب: مرّ نصف النهار عليّ وأنا أبحث عن طبيب من قفا كلب.

فأجابه شاكر على الفور: لو مددت يدك إلي قفاك لوجدته واسغنيت عن كل هذا التعب*.

* مجمع المسرات ص ٣٥٣.

الله والشيطان اجتماعاً ثانية

كان للأمير منقذ شهاب، صديق الدكتور شاعر الخوري، ابنة تسمى ملكة، وكانت أنموذج الجمال. يخبر شاعر فيقول:

لما كنت مقيماً في الحدث رأيت مع السيدة ملكة فتاةً أخرى تدعى السيدة حُسن، ولكنها كانت عكس اسمها، ولم ترّ عيني من مصريات وسوريات وخلافهنّ أقبح من هذه منظراً. طويلة القامة. نحيفة الجسم كالمسمار. شبيهة المومياء وجلدها كالجلد المدبوغ للسكافة، وأنفها يزيد عن فمها، وعيناها صغيرتان مستديرتان في وقبيهما لا تفتحان أكثر من ثلاثة ميليمتر، وشدق واسع، إذا ضحكت تبرز منه أسنانها الكبيرة، ومجموع كالبادنجان المحشي أرزاً، بارز، وكانت أين ذهبت السيدة ملكة تذهب معها وتجلس بجانبها، فرأيتها مرة، ونظمت الأبيات الآتية:

قد اجتمعَ الشيطانُ بالله ثانياً

كما اجتماعاً في عهدِ أيوبَ سابقاً

وقد قالَ كلُّ يخلُقُ اليومَ صورةً

مثالاً له فيه يكونُ مطابقاً

لذا خلقَ الرحمنُ وَجْهَ مليكةٍ

ترى الشُّبَّةَ فيه بالحقيقةِ ناطقاً

وها صورةُ الشيطانِ في حَسَنٍ تُجَلِّي

وها وَجْهها للكونِ قد صارَ ماجقاً*

* مجمع المسرات ص ٣٥٠.

العين الضيقة

كان عند فخري بك نامي ابن محمود حاكم بيروت، في عهد ابراهيم باشا المصري، وكيل يدير بيته، ويخاف من مداخلة الغير معه، لذلك كان يعبس بوجه الجميع حتى ينزع أمنية البك منهم. وكان فخري بك يكرم أحد الأشخاص ووكيله يتضايق منه.

وفي ذات يوم عالج الدكتور شاكر الخوري عيني البك، ولما انتهى تقدّم إليه الوكيل وأراد أن يمازحه، فقال له: انظر المرض الذي بعيني. فأجابه شاكر على الفور: لا دواء لعينك لأنها ضيقة.

والعامّة عندما تصف شخصاً بأنّه ذو عين ضيقة، فهذا يعني أنّه ضيق الصدر لا يطيق أحداً*.

* مجمع المسرات ص ٣٨٤.

تَنِين لَبْنَان

كوبليان أفندي صهر واصا باشا، هو الذي سَوَدَ إدارة المتصرّف واصا باشا وأبقى لها أثراً قبيحاً، ولولاه لكانت خير إدارة . . . كوبليان ما كان يعرف غير الدراهم ولا يعمل مصلحة إلاّ بالمال، وقيل أن اشتهر بهذا الأمر أرسل شاكر الخوري رسالة إلى الأهرام هذا نصّها:

تَنِين لَبْنَان

ظهر في لبنان تَنِين قصير القامة، أسمر اللون، ذو لحية سوداء، ينظر إلى جميع الجهات في آنٍ واحد. لا يأكل لحماً ولا نباتاً، بل معدناً وخصوصاً معدني الفضة والذهب. ويجوب لبنان بالطول والعرض، ويستخرج المعادن من الجيوب لا من الأرض. إذا أكل ضحك ولعب ومسح شاربيه، وفرك يديه، وبالعكس إذا لم يُقدّم له الطعام هاج وماج، ورفس برجليه. لم يظهر حيوان مثله في الكون، وقيل أنّه من الحيوانات التي ظهرت قبل الطوفان، لأنّ عندما جمع نوح، عليه السلام، الحيوانات في الفُلْكَ، وطاف على وجه الماء، استقرّت السفينة على جبال أراراط في أرمينيا، فخرج هذا الحيوان قبل الجميع، نظراً لشراسته، وفلت من السفينة، وبقي في بلاد أرمينيا، فنسأل دولتلو واصا باشا أن يقي البلاد منه، وله من أهلها الدّعاء والممنونية*

* مجمع المسرّات ص ٤٦٧.

لاهي الحمار

دخل شاعر الخوري على رجل يقامر، وراح يكلمه طوال مدّة لعه.
وعندما خسر ادّعى أنّ شاكراً ألهاه، وهذا سبب الخسارة. فقال له شاعر على
الفور:

أَلْهَيْتَنِي يَا شَاكِرًا
مَا هَكَذَا فِعْلُ الصَّديقِ
فَأَجِبْتُهُ إِنِّي الَّذِي
يُلْهِي الْحَمَارَ عَنِ الْعَلِيقِ*.

* مجمع المسرّات ص ٤٦٧.

مجمع الحشرات

كان الدكتور شاکر الخوري في مجلس، فسأله أحد الحاضرين: هل هجوتَ فلاناً وأدخلته في مجمع الحشرات؟
وكان فلان المقصود حاضراً، وهو ذو قامة هائلة. فأجابه الدكتور: لم أزل في الحشرات ولم أصل بعد إلى ذات الحافر.

الملهوف

شاهد الدكتور شاکر الخوري رجلاً يُدعى الملهوف مصاحباً لنجيب باشا ملحمه لا ينفك عنه ليلاً ونهاراً، ويتناول غذاءه في بيته. وعندما اجتمع الخوري وملحمه، طلب منه هذا الأخير أن يقول شيئاً في الملهوف. فقال الخوري:

لَمَّا بَدَأَ الْمَلْهُوفُ وَسَطَ دِيَارِكُمْ
وَلَهُ مَسَاءٌ كُلَّ يَوْمٍ مَطْعَمَةٌ
صَدَّقْتُ قَوْلًا قَدْ يُقَالُ بِأَرْضِنَا
إِنَّ الْكِلَابَ تَعِيشُ حَوْلَ الْمَلْحَمَةِ*

* مجمع المسرات ص ٥١٥.

الشاهد العيان

في خلال زيارته لباريس، صادف أن جلس الدكتور شاكر الخوري مع بعض الأصحاب من مختلف المذاهب. فقال الأرثوذكسي مازحاً: إن الحقّ معنا بولادة المسيح لأنّه ولد في يوم ممطر وعيد ميلاده عندنا في هذه السنة كان ممطراً. وأمّا الموارنة فكان عيدهم صافي الجوّ.

فأجابه أحد الموارنة، وكان ضخّم الجثة جدّاً: كلاً فالحقّ معنا.

أرجع الاثنان الحكم للدكتور شاكر، فأجاب: إنّ الحقّ مع الموارنة لأنّ فلان، أي الماروني الضخّم الجسم، كان شاهداً عياناً، لأنّه كان ينفخ على المسيح عند ولادته.

لا عجب

كان الدكتور شاعر الخوري في مجلس، فدخل عليهم رجل أسود الوجه مع زوجة تخجل البدر، فأخذ الحاضرون يتبادلون النظرات، ويتغامزون، ويقول كلٌّ بفكره يا للخسارة. أمّا الدكتور شاعر فقال:

تَكَدَّرَتِ الْخَوَاطِرُ مِذَّ رَأَيْنَا
بِرْفَقَةِ أُسُودٍ بَدَّرَ التَّمَامِ
فَلَا عَجَبٌ بِذَا إِذْ قَدْ عَرَّفْنَا
بِأَنَّ الْبَدْرَ يَطْلُعُ فِي الظَّلَامِ*.

كاتم الأسرار

التقى الدكتور شاعر الخوري يوماً بمطران راكباً عربة وإلى جانبه كاتم أسراره. وكان الدكتور ماشياً ولما التقى بالمطران صادف أن وقف بجانبه كلب. فطلب كاتم الأسرار من سيادته أن يسأل شاعر عن الذي بجانبه، فقال المطران: ما هذا الرفيق الذي بجانبك؟ فأجابه الدكتور شاعر: كاتم أسراري. فضحك المطران، أمّا كاتم أسراره فكتّم الغيظ أكثر من السرّ**.

* مجمع المسرات ص ٥٣٦.

** مجمع المسرات ص ٥٣٧.

حالة الانسان في الشرق

اللهُ أَوْجَدَنِي فِي أَرْضِ لِبْنَانِ
وَالأَصْلُ سِرْيَانُ وَالإِيمَانُ مِوْرَانِي
أَصْبَحْتُ مِضْطَهْدًا مِنْ كَلِّ طَائِفَةٍ
مِنْ كَلِّ جَنْسٍ وَلَوْ كَانُوا كَبْحِيرَانِي
إِنَّ قَلْتُ سِرْيَانُ فَالأَعْرَابُ تَبِعِدُنِي
وَالسُّوْدُ تَبْغِضُنِي وَالفِرْسُ تَهْزَانِي
أَمَّا الفِرْنَجِي فَوُدِّي لَا يُصَدِّقُهُ
لَوْ كَانَ إِيمَانُهُ فِي الدِّينِ إِيمَانِي
أَوْ شَامَنِي عَرَبِيٌّ فِي نُهْيٍ وَذِكَا
يَقُولُ فِي قَلْبِهِ ذَا الوَعْدُ سِرْيَانِي
أَوْ شَامَنِي مُسْلِمٌ فِي الجَاهِ مُفْتَخِرًا
يَقُولُ فِي سِرِّهِ ذَا الكَلْبُ نِصْرَانِي
أَوْ شَامَنِي أَرْثُوذَكْسِي فَاعْجَبُهُ
يَقُولُ يَا لَيْتَهُ قَدْ كَانَ يُونَانِي
إِذَا لِقَانِي فِرْنَجِيٌّ وَمَا زَحَنِي
يَقُولُ فِي قَلْبِهِ هَذَا لِفَنْتَانِي
إِنَّ البِرْوَتْسْتَنْتَ إِنْ قَابَلْتَهُ سَحْرًا
نَادَى أَعْوَدُ بَرَبِّي ذَاكَ رِوْمَانِي
إِذَا أَتَيْتُ لَصِيدًا وَاشْتَهَرْتُ بِهَا
قَالُوا بِأَنِّي فَلَاحٌ وَلِبْنَانِي

لا العلمُ يَنْفَعُنِي لا العقلُ يَرْفَعُنِي
 لا العدلُ يحْفَظُنِي من مذهبٍ ثاني
 أين البلادُ التي تحنو إلى أدبٍ
 وتحسب اليوم أفضلًا لإنسانٍ
 من دونِ جنسٍ ودينٍ أو بلا وطنٍ
 يقَدِّرون الفتى قدراً لإحسانٍ
 ما الذنب لي إن براني الله في بلدٍ
 صغيرة أو بدينٍ غيرِ أديانٍ
 أو كان لبسي طربوشاً وكوفيةً
 أو مأكلي دون سكينٍ لألوانٍ
 فالرأس رأسي وكفي لي غدت وكذا
 والأرض أرضي والأسنان أسناني
 لو كان أكلي بلا سكينٍ مصطلحاً
 يضرُّ أسنانه بالحقَّ ينهاني
 لو كان ديني ينادي كي أضربُ به
 له عليَّ حقوق الكره والجاني
 لكن بالعكس ديني قد يُعَلِّمُنِي
 إذا أساءَ أباديهِ بغفرانٍ
 له عليَّ يمينٌ لا أضربُ به
 هذا هو الدين والدنيا للإنسانِ *

* مجمع المسرات ص ٤٤٠ .



هو شاعر مهجري فكه، ظريف في حياته وفي شعره. والده مخائيل رستم من الشوير، صاحب أول ديوان طبع في نيويورك. أمه روجينا شحادة من زحلة.

ولد أسعد في بعلبك سنة ١٨٧٨. عند بلوغه الثانية عشرة أرسله والده إلى مدرسة الشوير، ومنها إلى مدرسة زحلة العالية، حيث أمضى سنة، انتقل أسعد بعدها إلى مدرسة سوق الغرب فأمضى عاماً من الاجتهاد، ثم غادرها إلى مدرسة صيدا العالية، فالكلية في بيروت، وفيها برع في الخطابة.

سافر إلى نيويورك، حيث عاشر أهل الصحافة والأدب، فاكسب منهم المعرفة وأصول اللغة ونظم الشعر، حتى أصبحت الصحف والمجلات تقبل على نتاجه وتنشره. ولم تمنعه تجارة السجاد العجمي الفاخر، التي مارسها ونجح، من مراودة الشعر.

سنة ١٩٥٨ عاد إلى لبنان بعد خمسين عاماً من الغياب. وكانت وفاته سنة ١٩٦٩.

من آثار أسعد «الرستميّات» و«ديوان أسعد رستم». تميّز شعره بالظرف والفكاهة والانتقاد اللاذع لعيوب الأفراد والمجتمع. كما تميّز باستعمال الكلمات والتعابير العامية التي تفي بالغرض، وتعبّر عن المعنى المطلوب، ما جعل شعره يدخل الإذن والقلب معاً.

قال عنه فيلكس فارس: «سمعت البارحة أسعد رستم يلقي من على المسرح قصيدتين من نظمه المشهور. فأعجبني في الرجل رباطة الجأش

وأدهشني من الشاعر وجود قوة مزدوجة في أفكاره. فهو يناجي الفيلسوف ويتلاعب بعاطفة المتفكّك كيفما شاء الخيال».

وقال أميل خوري: «أسعد رستم يطعن الحقيقة ولا يحرك لها من الخيال الفراغ درعاً يقيها طعنته النجلاء. غير أنه يعود بعد حملته الشديدة فينسج من الخيال البديع قناعاً يستر به الجرح الذي فتحه فيشغل السامع المطعون بحقيقته عن التذمر والغضب بالضحك والمزاح. يضرب ويعزّي. يدمي ويضمّد. وتلك، والله، أفضل وسيلة للتهذيب. فليس رستم إذًا بالشاعر الفكاهي فقط ولكنه أخلاقي اجتماعي أيضاً».

عواميد وعواميد

لما كان رستم رئيساً لتحرير جريدة المهاجر، عرض على الكتاب الأدباء بدلاً مالياً لقاء كلّ عامود يكتبونه في جريدته من المواضيع الأدبية. فأجاب طلبه كثيرون، منهم كاتب ثقيل الدم بقي له في ذمّة الجريدة، بعد أن تركها رستم وباعها من غيره، ثمن ثلاثة أعمدة لم تُدفع له سهواً، ولا تتجاوز قيمته الريال. فأخذ هذا الكاتب يزعج رستم يومياً برسائل المطالبة بدفع ثمن تلك الأعمدة الثلاثة، وهو لا يردّ عليه نكايّة فيه، حتى إذا طفح الكيل أخذ أسعد القلم وكتب إليه مجاباً:

عزيزي

أما بعد، فإنّ أفضل شيء أعزّيك به عن خسارتك ثمن أعمدتك الكتابية الثلاثة، هو أنّ للملوك الرومانيين القدماء في هياكل قلعة بعلبك ستة أعمدة ضخمة شاهقة، تركوها منذ ألاف من السنين، وفارقوا الدنيا غير آسفين عليها، فالعمى في قلبك حلّ عتاً*.

* الرستميّات.

عشاق

ندر وجود جريدة عربية لم يهد أسعد منها إلى أصحابه بالأحاديث والعشرات. وكثيرون هم الصحفيون الذين نشطهم وأعانهم بأقواله وأمواله. غير أنّ بعضهم، من منكري الجميل، لما امتنع أسعد عن مساعدتهم، انقلبوا عليه وأهانوه، فدعوه جاهلاً بعد أن كان عالماً، وصغيراً بعد أن كان كبيراً، ممّا حمل أسعد على الردّ عليهم بقوله:

«لَمَّا كَانَتْ أَيْدِينَا فِي أَشْدَاقِكُمْ كُنْتُمْ مِنْ عَشَاقِنَا وَكُنَّا مِنْ عَشَاقِكُمْ».*

صورة محامٍ

كتب أسعد على رسم محامٍ تصوّر ويده في جيبه:

أَخَذَ الْمُحَامِي رَسْمَهُ وَبَجَيْبِهِ
يَدُهُ وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْ مَبْدَأِهِ
. وَلَكِنَّ ذَاكَ الرَّسْمُ أَصْدَقُ مَنْظَرًا
لَوْ صُوِّرَتْ يَدُهُ بِجَيْبِ سِوَاهُ**

* عن الرستميّات.

** الرستميّات.

توصية شهادة

أقلق أحد الثقلاء راحة أسعد، وهو يطلب منه كتاب توصية به وشهادة له، فأعطاه الكتاب التالي:

إلى كل من يهتم الأمر.

أنا أسعد رستم موقع هذه الأسطر من أشرف الخلق طيبة، وأقلهم هدواً وسكينة. أملك قرية وأحكم مدينة. أشهد أمام الله وعبيده أنّ الشخص الحامل هذا الكتاب هو أشبه بإنسان منه بحيوان، له رجلان ويدان وأذنان وأنف واحد. لا يعرض، ولا يلبط! فلا تخافوه*

بين لصين

نظم أسعد هذه النكتة فقال:

كافراً قال: أحضروا لي قساً
مع مُحامٍ إلى فراشي سريعاً
فأنوّه بما يُريدُ وقالوا
قد ذهبننا بما طلبت جميعاً
قال: إنني اشتَهيتُ هذا لأقضي
بين لصين كالْمسيحِ يسوعاً*

* الرستميّات.

لبنان يتكلم ويتألم

صاح لبنان من قم الميزاب
أيها الناس عِلَّتِي أَحْزَابِي
عِلَّتِي دَاخِلِيَّةٌ أَزْمَنْتَ فِي
فَشَلَّتْ أَعْرَاضُهَا أَعْصَابِي...
نَظَّفُوا دَاخِلِي سَرِيعاً وَوَالِئاً
مَتُّ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الْأَسْبَابِ
جَرَعَةٌ مِنْ «مَنَازِيَا» الْعِلْمِ تَكْفِي
لِجَلَاءِ الدُّجَى وَشَقِّ الْحِجَابِ
وَلِتَطْهِيرِ كُلِّ مَا فِي بَعْبِدَا
مِنْ فِسَادِ الْحُكْمِ وَالنَّوَابِ
وَلِنَرْتَاخِ مِنْ رُؤُوسِ رُؤُوسِ
سَكَنُوا فِي رُؤُوسِ تَلِكِ الرُّوَابِي
مِنْ سَرِيٍّ وَفَاضِلٍ وَوَجِيهِ
وَعَنِيٍّ عَالٍ مَنِيَعِ الْجَنَابِ
مِنْ وُلَاةٍ بِفَضْلِ إِهْمَالِهِمْ قَدْ
أَصْبَحَ الشَّرُّ ضَارِبَ الْأَطْنَابِ
مِنْ نِزَاعٍ وَمِنْ نَفْوَرٍ قَدِيمٍ
بَيْنَ دَوْمَا وَبَيْنَ بَيْتِ شَبَابِ
مِنْ رِجَالٍ شَبَّوْا وَشَابُوا عَلَى الظُّلْمِ
وَهَضَمَ الْحَقُوقِ وَالْإِغْتِصَابِ..

من إناسٍ يستعملون لإذراكِ
المعالي وسائل الإرهابِ
يجرون الفقير ظمأً على التصويتِ
لأغنياء في الانتخابِ
أجموا بالبرطيل عدلي حتى
ركبوني بالجور والارتكابِ
حالة تحزن القلوب لما فيها
من الانقسام والانقلابِ* ..

* ديوان رستم ص ٣٥٩ - ٣٦٠.

بُدران؟

كان عند الأرمني بدران آغا كلبة ولها جروان فاقترح على أسعد رستم
تقريباً للكلبة وجرونها مشروطاً بالنكته، ولو جرحت، فأنشده رستم هذين
البيتين:

عند الصِّديقِ رأيتُ يوماً كَلْبَةً
حسناً في أخضائِها جِروانِ
قال الصديقُ إذا قَدِرْتَ فَصِفْهُمَا
شعراً فقلتُ له هما «بدران»؟!*

* ديوان رستم ص ٣٧٤.

ضربة على النافوخ

توفي الشيخ ابراهيم اليازجي اللغوي المذقق (كثيراً) في غضون
مداعبة هزلية بين الكاتب الفكاهي شكري أفندي الخوري صاحب جريدة «أبو
الهول» في البرازيل وأسعد رستم، الذي أنشده هذه الأبيات بعنوان «ضربة
على النافوخ»:

قد مات الشيخ فوا أسفا
في الأول من هذا الحول
والشيخ إمام كان يُفيدُ
الناس بفعلٍ مع قولٍ
نَسَجَ الانشاء بإتقانٍ
كَحَرِيرٍ يُنْسَجُ بِالنُّوْلِ
يَتَأَمَّلُ جُمْلَتَهُ فَيُقِيمُ
عليها المؤتمرَ الدُّولي
نَقَدَ الشُّعراءَ من المتنبي
رَبُّ الشُّعْرِ إلى الصُّولي
نَقَدَ الكُتَّابَ بلا استثناءٍ
من خلدون إلى الخولي
حَتَّى قَتَلْتَهُ رِكاكَةً شكري
الخوري ضمن (أبو الهول)*¹

* ديوان رستم ص ٣٧٤.

بلدية بيروت

بلدية بيروت أنتَحَسْتْ بطرث من كثرة ما لَحَسْتْ
ومطالبَ أهلِها رَفَسْتْ فَأَبَتْ للحال استبدالاً
وحلّ وحلّ لا لا لا لا لا لا

جمعوا من سكانِ البلدي مالا يغني ولدَ الوليدِ
والناس به لم تستفيدِ فالمالُ هنالك ما زالاً
بجيوبهم؟ لا لا لا لا لا لا

لماسئلوها عمّا فعلوا قاموا قعدوا عتبوا زعلوا
وبنيران الغيظ اشتعلوا وعلينا صبّوا الأوحالا
هل ذلك عدلٌ؟ لا لا لا لا لا لا

أرجال الأمرِ ذوي الرُتبِ عُصنا في الوحلِ إلى الركبِ
لِتَهَامُكُمْ هل من سبٍ فلقد كابدنا الأهوالاً
أما أنتم لا لا لا لا لا لا

كم بركة ماءٍ في السوقِ بلغتْ بِالطُولِ إلى الزُوقِ
مَنْ لي بِالمالِ المَسْرُوقِ يَأْتِي فَيُنظَفُها حالاً
هل يمكنُ ذلك لا لا لا لا لا لا

حُفَرٌ حُفَرٌ حُفَرٌ حُفَرٌ حُفَرٌ منها الأهلونَ لقد كَفَرُوا
كم مِنْ رِجْلِ فيها كَسَرُوا أو جَمَلٍ عن جَحشٍ مالا
وجنابكم لا لا لا لا لا لا

حَيَاتٌ فيرانَ بطُ غاصوا عاموا قَفَزُوا نَطُوا
فَهُمْ كَالنَّاسِ إِذَا انغَطُوا فِي الوَحْلِ تَرَاهُمْ أَشْكَالاً
سَمَكٌ أم ناسٌ يا لا لا لا لا لا لا

أَسْمِعَتْ بِمَا فِي الْمَسْتَشْفَى مِنْ دَاءٍ مِنْهُ لَا تَشْفَى
طَاعُونَ يُورِدُكَ الْحَتْفَا وَوَيْتَمُ مِنْكَ الْأَطْفَالَا
أَصْحِيحُ هَذَا لَا لَا لَا
قَالُوا قَدْ نَلْنَا الْقَانُونَا وَبِتِلْكَ النُّعْمَةِ زَاوِنَا
وَالآنَ بَلَّغْنَا كَانُونَا وَالظَّلْمُ يَزِيدُ اسْتَفْحَالَا
وَالْحَالَةُ قَوْضَى يَا لَا لَا *.

الحمار والانسان

الانسان : أنت تنهق .

الحمار : أنت تشدق .

الانسان : تنام على الأقدار .

الحمار : تنام على الضيم .

الانسان : أنت تأكل الشعير .

الحمار : أنت تشرب عصيره (١) .

الانسان : أذنك طويلة .

الحمار : يدك طويلة .

الانسان : أنت على الأربعة تدب .

الحمار : أنت بالأربعة تسب .

الانسان : أنت تفخر بخالك الحصان .

الحمار : أنت تفخر بحصان خالك .

الانسان : تتقيّد باللجام .

الحمار : تتقيّد بالكلام .

(١) يقصد مشروب البيرة .

الانسان: ترفس برجلك .

الحمار: تطعن بلسانك .

الانسان: تنام واقفاً .

الحمار: تقف نائماً .

الانسان: صاحبك يحملك .

الحمار: تحمّل صاحبك .

الانسان: أنت صاحب ذنّب .

الحمار: أنت صاحب ذنّب .

الانسان: أنت تعنفص .

الحمار: أنت تتكبر .

الانسان: عليك جلال .

الحمار: ما عليك جلال .

الانسان: أنت تعلق المخلاة .

الحمار: أنت تتعلق بزوجتك .

الانسان: أنت يابس الرأس .

الحمار: أنت يابس القلب .

الانسان: أنت حمار .

الحمار: وأنت انسان* .

* ديوان رستم ص ٣٠٧ .

رواج وبوار

قال الشاعر أسعد رستم في صديق حلق شاربيه وطلب منه تقریظاً:

حَلَقَ الخِلاَّ شارِبِيهِ فَأَضَحَتْ
فِي رِواجِ تجارَةً الحِلاَّقِ
وَخِلاَّ وَجْهَهُ المِليحُ مِنَ الشُّعْرِ
فبارتْ مِكانسُ الأَسواقِ*.

* ديوان رستم ص ٢١٧.

استشارة

كتب أحدهم إلى أسعد رستم يستشيريه في أمر صديق له وكيف أمره
ويشيه عن عجرفته، فأجابه بهذين البيتين:

يا مَنْ بُلِيَتْ بِصَاحِبِ مُتَعَجَّرِ
وَوَجَدَتْ صَعْباً أَنْ تَدِيرَ مِرَاسَهُ
إِنْ كَانَ أَقْوَى مِنْكَ فَاحْذَرْ بَطْشَهُ
أَوْ كُنْتَ أَقْوَى مِنْهُ فَامْسِرْ رَأْسَهُ

سوء هضم وهضم سوء

سألته جريدة الفتاة عن سبب سكوته الطويل مدّة ست سنوات، فأجاب بقصيدة حملت عنوان «سوء هضم وهضم سوء»، أوضح فيها سبب هذا السكوت بطريقته الرستميّة. قال:

المصابُ الذي قضى بسُكوتي
سوءُ هضمٍ لِقِطْعَةِ البَسْكَوتِ
مرضٌ ما تَمَلَّكَ البعضُ حتّى
سافروا عاجلاً إلى الملكوتِ
مرضٌ ناتجٌ عن النهمِ والإفراطِ
من كلِّ مَطْلَبٍ مَمْقُوتِ
واضطرابِ الأفكارِ من فرطِ همِّ
وكسادِ الأشغالِ في الحانوتِ...
كم عليلٍ قد ذابَ منه نُحولاً
بعد أن كان ناصحاً كالحوثِ
هدُّ منّي القوى وقد كانَ عندي
مثلَ شربِ المياهِ قَلْعَ الثُّوتِ
والأطباءُ كم وكم وَصَفُوا لي
من عقاقيرِ جَمَّةٍ وُزَيوتِ
منعوني عَنِ الطَّعامِ فَأَمْسَيْتُ
كَخَيْطٍ واهٍ مِنَ العَنَكَبُوتِ

شَمِتَ الحَاسِدُونَ بِي وَأَرَادُوا
لِي نَحْوِ الجَحِيمِ قَطَعَ التَّكْوِتِ^(١)
نَحْتُونِي مِنْ بَعْدِ أَنْ نَعْتُونِي
بِالكَلامِ المَزخَرِفِ المَنحَوِتِ
كَأَنَّ كُلَّ مَنَّهُمْ يُحَاوِلُ أَنْ يُخَدِثَ
صَوْتاً بِطَبْلِهِ المَفْخَوِتِ
غَيْرَ أَنِّي لَقَدْ تَعَاَفَيْتُ جَدًّا
فَكَسَّرْتُ الرُّؤُوسَ بِالنُّبُوتِ
فَأَنَا اليَوْمَ وَمِثْلَمَا كُنْتُ قَبْلًا
شَاسِعَ الصُّيْتِ وَاسِعَ الجَبَرُوتِ
إِنَّمَا سَوْءُ الهَضْمِ خَيْرٌ لَنَا مِنْ
هَضْمِ سَوْءِ فِشَا بَبْغُضِ البِيتِ
أَشْكُرُ اللّهَ قَدْ شَفَيْتُ وَلَوْلَا
تَوْبَتِي اليَوْمَ كُنْتُ فِي التَّابُوتِ
أَنْفُسُ الأَصْدِقَاءِ عَيْشِي وَأَمَّا
أَنْتِ يَا أَنْفُسَ الأَعَادِي فَمَوْتِي*

(١) التَّكْوِتُ: جَمْعُ تَكْتٍ: بَطَاقَةُ سَفَرٍ. (دخيلة).
* مِنَ الرِّسْمِيَّاتِ.

ديوك وديوك

قال أسعد رستم يصف واقع البلاد العربية:
بني وطني أمسِ صادفتُ قنناً
تعالى الغبارُ به واضطربُ
فأبصرتُ ديكين يفتتلانِ
على الزبلِ مثلِ رجالِ العربِ
فهذا يصيحُ أنا من دمشقِ
وذاك يصيحُ أنا من حلبِ
وذا قالَ في لُغهِ التركِ «سَكَيْرُ»
وذا قالَ في الانكليزي «شَطَبُ»
فيا لنزاعِ بدونِ دواعِ
ويا لسبابِ بدونِ سببِ
فإن أنا شَبَّهْتُكُمْ بالديوكِ فما
من ملامٍ وما من عتبِ
فما هيَ إلا ديوكُ الدجاجِ
وما نحنُ إلا ديوكُ الحطَبِ*.

• الرستميّات.



محامٍ لامع، سياسي بارز، اشتهر بظرفه وحدة ذكائه، وسرعة خاطره.

ولد في بعبدات سنة ١٨٩٨. تلقى علومه الأولى في المدرسة الوطنية في مسقط رأسه. ثم انتقل إلى معهد الحكمة في بيروت، ومنها إلى معهد الحقوق الفرنسي، حيث نال الإجازة سنة ١٩٢٢، وتدرج محامياً في مكتب يوسف السودا، أحد الخطباء ورجال النهضة في لبنان المعروفين.

في سنة ١٩٤٣ انتخب نائباً وأعيد انتخابه سنة ١٩٤٨، وفي سنتي ١٩٤٥ و١٩٤٦ عيّن وزيراً للمالية، وفي سنة ١٩٥١ عين وزيراً للتربية الوطنية.

وكانت وفاته سنة ١٩٥٤.

كان إميل لحدود أحد المحاضرين الذين اعتلوا منبر الندوة اللبنانية لمؤسسها ميشال أسمر.

كما عرف عنه مصادقته لشعراء الزجل، وارتجاله الشعر العامي في المناسبات، التي ينطلق فيها أميل على سجيته، فيطلق نكاته الحلوة والمرّة على السواء. ونوادره هذه أبقت اسمه حياً في ذاكرة اللبنانيين.

فزت بالنزول

عام ١٩٤٨، شغرت في مجلس النواب مقعدان عائدان للطائفة المارونية في دائرة محافظة جبل لبنان. فترشحت لهذين المقعدين كل من أميل لحود والشيخ سليم الخازن. وكلاهما كان محسوباً على رئيس الدولة آنذاك الشيخ بشارة الخوري. وبحكم هذه المحسوبية لم يترشح أحد ضدهما. غير أنهما أصراً رغم ذلك على إجراء عملية انتخابية كالمعتاد رغبةً منهما في إظهار شعبيتهما، في حين كان فوزهما بالتركية مضموناً.

عقب إعلان نتيجة الانتخاب التي كانت معروفة سلفاً، فتح كل من الناشرين الجديدين أبواب منزله لتقبّل التهاني.

كان منزل أميل لحود في برمانا يغصّ بوفود المهنيين عندما وصل وفد برئاسة صديقه اللدود الدكتور يوسف شراييه (ومثله كان مولعاً بقول الزجل) وتعدّز عليه الوصول إلى قاعة الاستقبال بالنظر إلى شدّة الازدحام . . .

ولما التقى بعد لأي صديقه أميل وعانقه مهتئاً، افترت شفاته عن ابتسامه ذات معنى، ففهم أميل معناها فوراً وقال له:

«بوجهك حكي. بدك تحكي. احكي».

فارتجل الدكتور لتوّه الأبيات الزجلية التالية:

لا تهيص ولا تدقّ طبول

فزت بحيث الدرب نزول

لو في شي مرشح ضدك

وفزت عليه كنّا منقول

ففقته اميل لذلك وقال: كفي، كفي..

فقال الدكتور:

زبوناتك كلن خفة وجابوا تذاكر بالقفة
من كل اثنين انتخبوا واحد منهم متوقى..*

* ذكريات ص ٦٤ - ٦٥.

اميل لحدود... والمعتدي عليها

«كان المرحوم إميل لحدود، الوزير والنائب والمحامي اللبناني، مشهوراً بروحه الخفيفة المرححة... وقد جاءه ذات مرة شاب متهم بأنه اغتصب فتاة... ومع أنه بريء من تهمة الاغتصاب القسري، باعتبار أن الفتاة كانت راشدة، وصديقة له، وقد حصل الأمر برضاها... فقد كانت القرائن جميعاً تدل على أنه اغتصبها اغتصاباً.

ولما لم يجد إميل لحدود وسيلة قانونية لاقتناع المحكمة ببراءة موكله من التهمة، عمد إلى حيلة لطيفة، وطلب إلى موكله أن لا ينطق بأي حرف، يوم الجلسة.

وانعقدت المحكمة، فوقف إميل لحدود يتراجع على هذه الطريقة:

- يا سيدي الرئيس. هذا المجرم السافل الحقير الغشاش المخادع المغتصب المعتدي على شرف هذه الفتاة المسكينة الطاهرة التقيّة النقيّة البريئة الشريفة... رغب أن أكون وكيله في هذه الدعوى...

وبصفتي وكيلاً عنه، فإنني لا أطلب له أية رافة أو شفقة لأن أمثاله يشكلون خطراً على الأخلاق والمجتمع».

عندئذٍ شعرت الفتاة المدعية أنها كسبت الجولة، واستأنست بإميل لحدود الذي ظنته اتخذ موقفاً مؤيداً لها...

لكن إميل لحدود أكمل:

- غير أنني يا سيدي الرئيس، أرى نفسي مضطراً لتبرئة ذمتي مع الموكل المجرم الخطير، لذلك أطلب له بتعويض بسيط عن الضرر الذي ألحقته هذه

الضحية المسكينة الطاهرة بفراش سريره، عندما مزقت «بسكربيتها» لحافه،
أثناء قيامه بعملية اغتصابها. . .

وسرعان ما صرخت الفتاة، محتجة تقول:

- فشر... آ... أنا ما كنت لابسة سكرينة، لما كانت نائمة فوق
التخت حتى يطالبني بمثل هذا التعويض؟

وانفرجت أسارير إميل لحود... واتجه إلى رئيس المحكمة قائلاً:

- سجّل يا سيدي أنّ امرأة راشدة تخلع حذاءها وتنام على سرير...
وتدّعي بعد ذلك أنّها اغتصبت اغتصاباً... .

وربح إميل لحود الدعوى...*.

* نواذر القضاة والمحامين ص ١٥ .

نضوة...!

توجه إميل لحدود لزيارة صديقه القاضي فارس نصار في بكفيا، فوجد باب منزله مقفلاً، وشاهد على عتبة «نضوة» معلقة، والنضوة توضع، تقليداً، لاستجلاب الحظ السعيد. فترك له على الباب هذه القراية:

علق نضوة بـ باب دارو بلكي يبيض نهارو
بـ علمك كان معو قرشين لما علقها، طاروا
ما كاد نصار يطلع على القراية حتى كتب إلى صديقه:

انتحس من نضوة بابو جرب حظو بنوابو
بـ النضوة طاروا القرشين بـ نوابو باع تيابو
وعلق الدكتور يوسف شراييه على الاثنين:
لا نايبنا يتباهى ولا قاضينا يتجاهى
كانوا شقفة، صاروا ثنين بحيث الشقفة قسناها*

* الزجل اللبناني شعراء ظرفاء، ص ٦٠.

محكمة بعدا

داعب إميل لحدود قضاة محكمة استئناف بعدا بقرادية ظريفة، ما أن
تأنها حتى صارت على كل لسان، وهي صورة لما كانت عليه الحال في
الماضي :

| | | |
|----------------|------|----------------------|
| تأجيل | وستة | خمس قرارات اعداد |
| تكميل | هيئة | بشارة وجاد والبغدادي |
| من جيل لجيل | | والدعوى دادي دادي |
| لبندق بو فتيل* | | مني لبيبي لولادي |

* الزجل اللبناني شعراء ظرفاء، ص ٦٠-٦١.

بو مدلج والتنوكي

أوكلت أحداهن إميل لحدود في دعوى مهمة، فطلب منها . . وكان يعرف أنها حشرية أكثر من اللزوم - عدم التدخل وترك الأمر له، وهو «يتكفل» لها بربح قضيتها.

لم تستطع أن تقف مكتوفة اليدين. فـ «برطلت» الياس بو مدلج والياس التنوكي وطلبت منهما أن يشهدا لصالحها أمام القاضي.

وحال مثلهما في المحكمة، انكشف أمرهما وخسرت السيدة الدعوى.

بعد الجلسة التقت المحامي لحدود وقالت له: «هيك بتريد يصير فيي»؟

ضحك إميل وقال لها:

من الساحل جبتي الياسين بومدلج والتنوكي
تأشهدو قرطو ريبالين وقرطو الدعوى وقرطوكي*

* الزجل اللبناني شعراء ظرفاء، ص ٦١.

مضاربة

التقى إميل لحدود بصديقه أسعد سابا. قال له: «صاير عم بتضارب علينا يا أسعد». أجاب أسعد باستغراب: «بشو عم ضارب عليك يا استاذ». ابتم لحدود وقال: «ولو، أنت ذكي... وبتعرف».

... وعرف أسعد، وأجاب بالقرادي:

دخلك ليش بتحكى هيك حوّا حكيتلي عنك
مين بدو يضارب عليك الله ينجينا منك

قال لحدود:

خليها بيني وبينك خود الرده وجوابا
أوعا ارفع من عينك عيني يا أسعد سابا*

* الزجل اللبناني شعراء ظرفاء، ص ٦٢.

بأقي نص

زار اميل لحدود بلدة صغين (البقاع) والتقى بصديق ظريف قصير
القامة. وقال له مداعباً:

حاجي عينك فيي تبصّ وحاج تتلصلص مثل اللصّ
كل الحق على إمك جايت نصّ، وختل نصّ

ولم تمر هذه المداعبة بسلام، واستلم لحدود الجواب التالي:

ريتو يسلملي تمك ومثل الورد عم شمك
بيي عطي أمي النصّ ونصّ الثاني لأمك

وفي مناسبة مشابهة، في مزرعة يشوع قال لحدود لأحدهم:

بقول الرده ع تنها وجيب قوالي ثمنها
امك لمن حبلت فيك كان بيك غايب عنها*

* الزجل اللبناني شعراء ظرفاء، ص ٦٢.

شخّاد الحملّاي

في سهرة أقيمت على شرف وزير المال اميل لحود، كان بين الحضور
الشاعر طانيوس الحملّاي وكانت عينه مصابة «بالشخّاد» فابتدره لحود
مداعباً:

هـ الحملّاي يا حينو غارق للديني بـ دينو
بـ عينو طالعلو شخّاد وهوي الشخّاد بـ عينو
أجاب الحملّاي غامزاً، ومستغلاً «اتهام» كمال جنبلاط له، بسياسة
التبذير:

يا وزير المصريات تركني وحاسب وجدانك
عشنا هـ العمر خواجات وما شحنا غير ع زمانك*

* الزجل اللبناني شعراء ظرفاء، ص ٦٣.

الحق المضمون

لم يستطع إميل لحود كسب احدي الدعاوى، مما أغضب موكله، فقال له محتجاً: مش معقول تخسر الدعوى، أنا صاحب حق...!

ابتسم لحود وقال:

ال بدو حقو يكون مضمون ويوكل أفوكاتو
يوكل أفوكاتو يكون القاضي مصاحبو مراتو*

برنيطة

دخل إميل لحود إلى قصر العدل، وكان الزمن زمن شتاء، فشهد صديقه جان جليخ (نقيب المحامين) يلبس قبعة عتيقة «أكل الدهر عليها وشرب». فابتدعه:

لابس هوني برنيطة والغبرة عليها غطيطة
أخدها من شي تراموي غلاقة بدال الشحيطة*؟

* الرجل اللبناني شعراء ظرفاء، ص ٦٣.

أبشع وجه

عرف الشيخ شاهين حبيش بصفات ثلاث: ظرفه، حلاوة قلبه، وبشاعة وجهه.

إميل لحدو اختصر ذلك بقرافية:

لا تحسب بحكي عن طيش أو كل كلامي فوفيش
أحلا قلب بـ أبشع وجَّ موجود بـ شاهين حبيش*

* الزجل اللبناني شعراء ظرفاء، ص ٦٤.

بياع توأبيت

تزوج حانوتي من صبية حلوة، بعد أن أثرى بسبب الحرب. التقاهما
إميل لحدود في سهرة عند صديق. وبرغم ظرف لحدود ونكاته واحاديثه، ظل
الحانوتي على رصانة مصطنعة مما اضطر زوجه «المصون» إلى مسابرة.
أفتعل إميل لحدود عدم معرفته بهما، وسأل صاحب السهرة بصوت مرتفع، عن
«الأستاذ وزوجته». استدرك صاحب السهرة، وعرف بضيفه بشكل مقتضب.
وكان ذلك كافياً لإميل لحدود فقال للحانوتي:

مهما عليت ومهما وطيت ومع ذوات الناس مشيت
هـ الهيئة ما بتخبي هيئة بياح توأبيت*

* الزجل اللبناني شعراء ظرفاء، ص ٦٤.



أديب لبناني، وقاصّ، وناقد أدبي واجتماعي، ذو أسلوب متميّز بالدعابة الساخرة، وبدقّة الملاحظة، ولباقة التعبير، وبالبساطة والعمق. عرف بشيخ الأدباء في لبنان وعميدهم.

ولد مارون عبود في عين كفاح في قضاء جبيل سنة ١٨٨٦. تعلّم في مدرسة تحت السنديانة في الضيعة. ثمّ تنقّل من مدرسة ماريوحنا مارون في كفرحي - البترون، إلى مدرسة الحكمة في بيروت.

ومن الحكمة بدأ ممارسة العمل الصحافي والتعليم. كتب في جريدة «الروضة»، ثمّ في جريدة «الحكمة» التي كانت تصدر في جبيل، واستمرت في الصدور حتى توقفت سنة ١٩١٤ بعد نشوب الحرب العالمية الأولى.

في التعليم، علّم أولاً في مدرسة الفرير ببيروت مدة سنتين ١٩٠٦-١٩٠٨، وعند الآباء اليسوعيين. ثم غادر بيروت إلى جبيل، فعلم في مدرسة الفرير حوالي خمس سنوات، انتقل بعدها ليدير مدرسة الجامعة الوطنية في عاليه، فبقي ٣٥ سنة دون انقطاع، ولم يتركها إلّا بعد أن أجبرها صاحبها فأنشئت مدرسة جديدة دعيت «كلية عالية الجديدة» فدرّس فيها الأدب العربي مدة سنتين وشهرين، فأنحرفت صحته وأشرف على الخامسة والسبعين فلزم بيته.

سنة ١٩٦٠ نال جائزة «أصدقاء الكتاب»، قدّمتها وزارة التربية باسم رئيس الجمهورية. وفي الثالث من حزيران ١٩٦٢ كانت وفاته.

ترك مارون عبود من الكتب المطبوعة ما يزيد على الخمسين، وبقي

الكثير من نتاجه مخطوطاً. وتناولت مؤلفاته موضوعات الأدب، والفن، والمسرح، والقصة، والنقد الأدبي والاجتماعي والسياسي، والسيرة، والدراسة... من آثاره نذكر: الرؤوس، رواد النهضة، صقر لبنان، وجوه وحكايات، أفزام جبابرة، أحاديث القرية، الأمير الأحمر، فارس آغا، مجدّدون ومجترون، جدد وقدماء، من الجراب...

مارون عبود، كما عرّف به يوسف أسعد داغر: «هو أديب الطّرف وأديب المرح وأديب الضحك وأديب التجديد...».

في أدبه قالت الناقدة خالدة سعيد: «كلمة مارون عبود لازعة ضاحكة ساخرة حادة في وجه الجميع، من دون أن تترك هذه الكلمة جراحاً، لأنها لم تكن كلمة تجنّ وحقد...».

وقال رياض حنين في مدخل كتابه «مارون عبود لطائف وطرائف»: .. كان لنا من طرف لسانه، لطائف وطرائف، تنبض بخفّة الرّوح، وعذوبة الفكاهة، وحلاوة الدّعابة، وعفوية الملحّة، وسرعة الخاطر، وحسن الجواب، واللّعب في المعنى وفي اللفظ... وكم يصحّ فيه، قوله، في الصحافي سعيد فريحة، في معرض كلامه على «جعبة الصياد»:

لو ورّعنا ظرفه على عشرات من ثقل الأقلام لأنعشتها روحه!...».

كلمة لمارون عبود في مارون عبود

ضغ محلّ هذه النقط النعت الذي تريده، فانا قد حلفت أن لا أكتب مقدّمة لكتاب من كتبي . وأبيت أن استجدي المقدمات ولو من أفلاطون وامتنعت عن أن أقدم شاعراً أو كاتباً إلى القارىء . وسواء عندي أكان قد حمل ذكره أم طار صيته حتى اختفى خلف الغيوم .

أعود فأقول لك هذه كلمة لا مقدّمة . إنّها كلمة أريد أن «أعترف» لك بها، فأطلعك في هذا الديوان على نزعاتي كلّها، بل على دخيلة نفسي، حتى على «الأسرار» المكتومة منها .

وبعد، فاعلم، يا عزيزي، رعاك الله وحفظني وحفظك، إنّ ديواني هذا ليس سلة مشمش «لأوجهها»^(١) لك . فلا أنا بائع ولا أنت شاري . لا يا أخي . إنّ هذا الديوان رسالة . . عفواً . هو فكرة عشت بها زمناً رغداً . وما زلت أحنّ إليها، وأنا على هواها . حالي معها كحال الرجل مع صاحبتة، قد تتنكر له، وقد يجفوها، ولكنّهما في الحالين، حال الرضا والغضب، واليسر والعسر، حبيبان ودودان، متيمان، مولهان . . ولولا ذلك لم يتشاكسا . أؤكد على غضبي . . ولهذا ها أنا أضع بين يديك الكريمتين قصائدي، كما قلتها في وقتها . لم أحكك، ولم أنقح إلا في قصائد معلومات، وأنت لا شك، تعرفهنّ بلا عناء . . إنّ سيماءهنّ في وجوههنّ .

فبعض القصائد التي ترى، لك أن تسميها خطباً - إذا شئت - استخدمت لتؤدّي فكرة ثائرة كانت تتقد في نفسي ولما تزل . ففيها الشعر وفيها النثر، وأنا

(١) وجه السلة بالمعنى العامي: وضع الثمار الطيبة الحلوة الكبيرة على وجه السلة لتفري الشاري، وفي القعر ما صغر وقلت قيمته منها .

أعرف منها ما ستعرف أنت، ولكنها في كل حال تقضي لبانة من تعرض وصله.

فإليك، إذن، مارون الشاعر في كل أطواره، بعجزه وبجده، كما كانوا يعبرون، فارتع، آجرك الله، وأجزل ثوابك، في هذه الجنة الغناء. ولك أن تقول فيها، بعدئذٍ، ما شئت.

هذا هو مارون عبود الشاعر، أما مارون عبود الناثر فهو رجل غير هذا. أفهم يا صاحبي، إن الناقد يعرف الذهب ويميزه، وإن عجز عن خلقه. فإن رأيت عند هذا المارون ما لا ينطبق على آرائه في الشعر، حين ينتقد غيره، فكن متأكدًا أن مارون الناقد لن يرحم مارون الشاعر، فوالله، وبالله، وتالله، لأؤدبته أدباً صارماً. ولأحملنّ عليه، كما حملتُ على غيره، حملات غواشم. فهو يدعي أنه يؤدي رسالة منظومة لينجو من يدي، فلسوف أرينه حين يقع ديوانه بين يدي، إن هذا الإدعاء لا يعصمه ولا ينجيه. ستري أنني سأري ذلك المارون الوقح كيف يكون النقد المرّ. وإن يغضب فلا رحمه الله، ولتهترّ عظامه في قبره. فكم أغضبت غيره من قبل. أما قيل: بالكيل الذي تكيلون يكال لكم وأزود؟

انتظر يا قارئ، إنها ساعة لها ما بعدها في تاريخ النقد.

انتظر، انتظر، فما أقرب اليوم من غد!*

* الحكمة، السنة العاشرة، العدد ٦، حزيران ١٩٦٢، ص ٦٤.

كرش القائم مقام

حكى فؤاد افرام البستاني هذه الطرفة عن مارون عبود، قال:

كنا فريقاً من الأدباء، في إحدى السنين، نحتفل بذكرى جبران خليل جبران، في مسقط رأسه في بشري، ومعنا مارون عبود. وكان أهالي بشري ينتظرون بين يوم وآخر، مجيء القائم مقام الجديد، لتسلم مهام منصبه.

فعندما رأوا مارون عبود واقفاً بكامل ثبابه، في فسحة السراي بكرشه البارز، وطربوشه الأحمر، وحاجبيه الكثيفين، وعصاه السوداء المقمّعة بالفضة، ظنّه الناس أنّه القائم مقام. فتقدّم منه رجل، وانحنى باحترام، بعدما زرّر جاكيتته، وقال له:

- سعادتك القايمقام؟

فابتسم مارون عبود، وأجابه وهو يربّت على بطنه المنتفخ:

- لأ، يا بني، كرشى من كيسي مش على حساب الدولة!*

* مارون عبود لطائف وطرائف ص ٢٧ - ٢٨.

قلبيهم على البغال

في أحد الأيام، شاء فؤاد مخلوف استاذ الأدب الفرنسي سابقاً في الجامعة الوطنية في عالية، أن يدخل إلى مكتب مدير الجامعة مارون عبود، ليراجعه بقضية خاصة، فوجد أنه يستقبل تلميذاً. وطال حديث مارون عبود مع التلميذ، وطال انتظار فؤاد الذي راح يتدمّر. ولاحظ عليه مارون عبود ذلك، لما حانت مقابته، فبادره قائلاً:

- طوّل بالك، أنا على طريقة قادة الجيش العثماني: ألف جندي يموت، ولا يموت بغل واحد*.

* مارون عبود لطائف وطرائف ص ٣٤.

كلام

التقى شاب، بعد مغادرته الجامعة الوطنية في عالية بسنين، أستاذه مارون عبود، في أحد شوارع بيروت، وكان قد شقّ طريقه في معترك الحياة. فهرع إليه يحيّيه بحرارة، وهو محني الرأس احتراماً. ثم ردّد له هذا البيت من شعر أحمد شوقي، ظناً منه أنه يدخل الفرع إلى قلبه:

قُمْ للمعلّمِ وفهُ التَّبجِلا
كأَدّ المعلّمُ أنْ يكونَ رسولا

فهزّ مارون عبود برأسه ورفع كتفيه، وقال بابتسامة هزء:

- هه... الكلام معسول، بس أيش طلعلو الرسول؟!*

* مارون عبود لطائف وطرائف ص ٣٦ - ٣٧.

ريحة دولارات

ألقى مرةً سياسي لبناني محاضرة على تلاميذ الجامعة الوطنية في عالية، تحدّث فيها بطبل وزمر، عن مشاهداته وانطباعاته في الولايات المتحدة الأمريكية.

ولمّا قال أحد الأساتذة إلى مارون عبود:

- في بعض تلاميذ، وأنا منهم، شمّ ريحة دولارات من المحاضرة:

فأجابه مارون عبود:

- وأيش؟ أنا مزكّم؟!*

* مارون عبود لطائف وطرائف ص ٣٧.

«الجورة»

كان أمين الريحاني يشكو من داء العصبي في إحدى يديه، فأشير إليه أن يركب دراجة، على سبيل التمرين.

وفي صيف ١٩٤٠، وبينما هو فوق دراجته، سقط في حفرة إلى جانب الطريق، في طرف ضيعته الفريكة. ونقل إلى مستشفى ريز في بيروت، ولم يلبث بعد بضعة أيام أن توفي.

وفي أثناء وجوده في المستشفى، عاده مارون عبود، وظن أن حادثة أمين ليست خطيرة. فقال له مداعباً:

- أتركب في الستين، يا أمين، كما كنت في العشرين والثلاثين؟

فابتسم أمين، وقال:

- ما كلّ الوقعات بتكون في «الجورة»!

فقال له مارون:

- كلّ البلا فيها ومنها، يا أمين!*

* مارون عبود لطائف وطرائف ص ٤١.

مسيّة بربرة

تعرف مارون عبود، في اليوم التالي لعيد القديسة بربرة، إلى رجل دميم الوجه، ذكرّه بوجه حبيب قلبه الجاحظ، فبادره متسائلاً:
- مبارح عيدنا البربرة، ليش بعدك أنت لابس هالوجه؟*.

زنبور لا نحلة

رأى رجل مارون عبود يعتني بأزهاره، في حديقة منزله، في عين كفاع، فقال له:

- يا ضيعان التعب. لو اعتنيت بغرسة تطعمك، ما كان أفضل لك؟

فقال له مارون عبود:

- أريد أن تأكل عيني، مثلما يأكل بطني.

فقال الرجل:

- أيش، عينك نحلة؟

فقال مارون عبود:

- لأ، عيني زنبور**.

* مارون عبود لطائف وطرائف ص ٤٥. يحتفل بعيد القديسة بربرة في الرابع من كانون

الأول وفيه يحتفل الأولاد ويضعون الأقمعة المختلفة على وجوههم.

** مارون عبود لطائف وطرائف ص ٨٣-٨٤.

صارت لبطته تهدّ الحيط

في إحدى رسائله إلى عبد الله المشنوق، على أثر تعرض منزله في عين
كفاع لسقوط صاعقة أحدثت أضراراً كبيرة فيه، قال مارون عبود:

عندما مرض محمد (ابن مارون عبود) بداء (هزة الحيط) ويشس الطبّ
منه استعملت مع النبيّ الكريم فظاظة الأعراب وقلت له:

لا تستطيع أن تحمي واحداً، من خمسمائة مليون، سمّيناه باسمك تبرّكاً
وتيمناً!! فكأنه، صلى الله عليه وسلّم، استجاب دعائي واكثرث لقضية سمّيه
الدقيقة، فشفي. ومن بعد - هزة الحيط - صارت لبطته تهدّ الحيط. ومن لا
يصدّق فالتجربة أصدق برهان»...*.

* رسائل مارون عبود ص ١٨.



عرفت الأسرة الخازنية بالنكته، فأفرادها يطلقونها بعبوية وبساطة ومحبة، ما يجعلها تدخل الأذن والقلب دون أثر لجرح في نفس سامعها أو ضغينة. والشيخ يوسف الخازن أحد أسياد النكته في هذه الأسرة.

ولد سنة ١٨٧١ في قرية سهيلة في كسروان. درس في عينطورا، والحكمة في بيروت، ثم في الجامعة الأميركية.

غادر لبنان إلى مصر، حيث مارس الصحافة، فأنشأ جريدة «الأخبار» مع داود بركات، ومجلة «الخزانة» ثم جريدة «بريد الأحد».

في سنة ١٩١٦ سافر إلى فرنسا، وفي باريس حرّر في جريدة «الطان».

عاد إلى لبنان، فعين عضواً في اللجنة الإدارية للبنان الكبير سنة ١٩٢٠. ثم انتخب نائباً في المجلس النيابي ثلاث مرّات: ١٩٢٢ و ١٩٢٥ و ١٩٢٩.

عاد إلى ممارسة الصحافة فأصدر سنة ١٩٢١ جريدة «الأرز» التي أسسها الشهيدان الخازنيان فيليب وفريد. ثم أصدر مع موسى نمور جريدة البلاد سنة ١٩٣٤.

اشتهر بثقافته العالية وإتقانه العربية والفرنسية، وبخفة روحه، وموهبته في إطلاق النكته. قال عنه كرم ملحّم كرم:

«كان الشيخ يوسف الخازن أنيس المحضر، رضي الخلق، سمح الخاطر، عفيف الضمير. . وكان في الظرف ما يفيض مسرة ولا تخجل به العذراء».

ما تركبش حمار؟

بينما كان الشيخ يوسف الخازن يسير في ضواحي القاهرة، برفقة أحد أصدقائه، مرّت بهما سيّدة إنكليزية حسناء، ممتطية صهوة حصان. فقال رفيق الشيخ:

- ليتني حصان!

فقال الشيخ يوسف:

- تكلف ربّنا عجيبه ليه؟ اسألها ما تركبش حمار؟*

* نكات خازنية ١، ص ٨٦-٨٧.

على شان ما إنشرش خطابك

يوم احتفل المطران يوسف دريان بتدشين دار النيابة البطريركية المارونية في القاهرة، وهي هبة من الكونت خليل صعب، دعا سيادته وجوه الطائفة إلى مائدة تصدّرها هو من جهة، والواهب من جهة أخرى. فوقف إلى المائدة أحد الخطباء، وألقى كلمة يثني فيها على الواهب والهبة، وعلى النائب البطريركي، بما يوافق المقام. والظاهر أنّ الشيخ يوسف الخازن لم يستسغ ذلك الخطاب فنهض على الأثر من مكانه وقصد الخطيب، قائلاً له:

- حبيب بك.. حبيب بك أديني خمسي جنيه!
فبادر حبيب بك، ومدّ يده إلى جيبه ليتناول منها خمسة جنيهاً، قائلاً للشيخ يوسف:

- على شان إيه شيخ يوسف؟
فأجابه:

- على شان ما إنشرش خطابك بكرا في «الأخبار»*.

* نكات خازنية ١، ص ٨٨ - ٨٩.

شرّ «المقطم»

التقى ذات صباح، الدكتور يعقوب صرّوف أحد صاحبي جريدة «المقطم» زميله الشيخ يوسف الخازن، وهو يسير في أحد شوارع القاهرة، متأبطاً رزمة من الصحف، فبادره الدكتور صرّوف قائلاً:

- أي شرّ تتأبط، هذا الصباح، يا شيخ يوسف؟

أجابه الشيخ يوسف ضاحكاً:

- إنّي أتأبط أعداداً من «المقطم»!*

* نكات خازنية ١، ص ٨٩.

بلا تهذيب مثل نابوليون

استقبل الجنرال سرايل المعروف بعدائه لرجال الاكليروس ولكل من يلوذ بهم، الشيخ يوسف الخازن وجورج زوين معاً. ولما كان الجنرال سرايل صريحاً على وقاحة صارخة، دعا جورج زوين للجلوس إلى جانبه، وقال للشيخ يوسف الخازن:

- أنت لا تقترب مني، فرائحتك خوارنة، وأنصحك بالأّ تزورني بعد اليوم.

فأجابه الشيخ يوسف:

- كنت أودّ أن أقول عنك ما قاله تاليران عن نابوليون، ولكن سأحجم لسبب بسيط جداً، وهو أنك لست نابوليون، لا من بعيد ولا من قريب*.

* نكات خازنية ١، ص ٩١.

استيراد لا تصدير

قصد ذات يوم أحد القسيسين الشيخ يوسف الخازن، طالباً منه أن يتوسط له لدى الرئيس العام لرهبانته، حتى يعدل عن إرساله إلى قبرص، لأنه يؤثر البقاء في لبنان، بحجة أن مناخه أفضل لصحته من مناخ الجزيرة.

ووعده الشيخ يوسف خيراً، وهو يقول:

- اطمأن بالأ، سأقنع قدس الآبائي بالرجوع عن «خطأ» قراره. فمن كان

مثلك «ما يبيعتوه عاقبرص، بيحيوه منا»*.

صغر لبنان وكبر الصحن

دخل الشيخ يوسف الخازن مطعماً في بيروت، اسمه «مطعم لبنان الكبير». فجيء إليه بصحن فيه قليل من الطيخ. فنأدى الشيخ صاحب المطعم، وقال له:

- يا خواجا، زغر لبنان الكبير وكبر لنا الصحن تنشيع**.

* نكات خازنية ١، ص ١٠٥-١٠٦.

** نكات خازنية ١، ص ١٠٧.

عتب

قدّم النائب شبل دمّوس في المجلس اقتراحاً. فاعترض زميله النائب اميل ثابت الثري الشهير، قائلاً للرئاسة:

- يا حضرة الرئيس شبل سرق لي أفكاري. هذا الاقتراح هو اقتراحي.

فوقف الشيخ يوسف معاتباً شبل دمّوس، بقوله:

- شو راح يطلعلك تاتمّد إيدك عا مخو، مدّا عا جيبتو!*

* نكات خازنية ١، ص ١٠٨.

المدير المسؤول

عندما أعاد الشيخ يوسف الخازن إصدار جريدة «الأرز» لمؤسسيها الشيخين الشقيقين فيليب وفريد الخازن، وضع إلى جانب اسم الجريدة في الصفحة الأولى، اسم الشيخ فريد نايف الخازن مديراً مسؤولاً الذي لم يكن له أية علاقة لا من قريب ولا من بعيد بالصحافة، فستل:

- شو عامل.. وين اسمك، ولايش اسم الشيخ فريد؟

أجاب:

- أنا للمقال.. وهو للاعتقال!*

* نكات خازنية ٢، ص ٣٦.

مار بطرس مقصّر

بعدها عادت ناهية زوجة الشيخ فريد الخازن من رحلة إلى إيطاليا، التقت الشيخ يوسف الخازن في أحد المنازل، فراحت تروي له ما شاهدته من عظمة كنيسة مار بطرس في الفاتيكان، ثم قالت:

- وصرت أمشي.. وأمشي بالكنيسي.. إلها أوّل وما إلها آخر، وأنا مدهوشي بالمذابح والتماثيل والتصاوير، ووقفت قدام تمثال مار بطرس، وصلّيت...

فابتسم الشيخ يوسف، وقال لناهية، وهي على جانب كبير من الجمال:
- يا حيف عا ما بطرس.. كان لازم هو يلحقك مش أنت تروحي لعندو!*

* نكات خازنية ٢، ص ٥٠-٥١.

نكتة الوداع

توفي الشيخ يوسف الخازن، في مدينة روما، حيث نفى نفسه إليها في الحرب العالمية الثانية. وعلى سرير مرضه الأخير، جيء له بطبيب إيطالي الأصل، لبناني المولد والنشأة، يدعى ماريني.

وقرّر الطبيب فحص دم الشيخ يوسف، ليصف له الدواء المناسب على ضوء نتيجة المختبر. فالتفت إليه الشيخ يوسف، وقال وهو يحشرج:

- بشرفك.. بشرفك، بذكّ تشيل مني دم تتفحصو أو تتوزنو؟

(ولم يمرّ قليل وقت حتى فارق الشيخ يوسف الحياة، وكانت النكتة الأخيرة التي أطلقها مودعاً)*.

* نكات خازنية ٢، ص ٦٣.



الشيخ فريد الخازن سيد آخر من سادة الظرف والفكاهة، الذين أنبتهم الدوحة الخازنية. ولد في غوسطا سنة ١٨٩٤. تلقى دروسه في عينطورا.

عرف بتواضعه، وعزة نفسه، وحده على الفقراء، واندفاعه لتحقيق مطالب المواطنين. انتخب نائبا في الدورات ١٩٣٤ و ١٩٣٧ و ١٩٤٧. والدورة الأخيرة لم يكمل مدتها بسبب وفاته في شهر آب ١٩٤٨. وكان له ماتم حاشد. ووفاء له أقامت له الدولة تمثالا في مسقط رأسه غوسطا سنة ١٩٥٠، كما أقامت له بلدية جونبة تمثالا نصفيا في حديقة السراي القديمة.

يعتبر الشيخ فريد أحد مؤسسي الكتلة الدستورية التي ترأسها الرئيس بشارة الخوري. وكان سابقا من مؤيدي الملك فيصل، ابن الشريف حسين، وبفضل هذا التأييد تمكّن من تأمين القمح لكسروان، في خلال سنوات الحرب العالمية الأولى، التي حملت إلى لبنان المصائب والجراد والجوع.

وصفه الياس أبو شبكة بقوله:

«هيكل من هياكل العمالقة ليس من الناس في كسروان إلا من يلحظه
إعجاباً، وبعضهم يلحظه حباً، فهو زعيم للطبقة الوسطى تستنّ بسننه ويلوي
الطرب أعناقها لدى ذكره...»

نطقه الاخلاص بفاضل ذيله وحفزه، خلق أبيّ، فهو ينزل نفسه على
إقالة الضعيف عشرته في كلّ حين ولو كان حزبا عليه...».

يتبادلون الأدوار

عرف عن الشيخ فريد الخازن أنه كان شيخ شباب وزعيماً شعبياً، محاطاً دوماً بالقبضيات. في حين عرف عن الشيخ يوسف الخازن أنه كان كاتباً ظريفاً وخطيباً قديراً.

وكان الشيخ فريد في بادئ الأمر نصيراً للشيخ يوسف في الانتخابات، ثم انقلب عليه بعد تدخل حبيب باشا السعد خصم الشيخ يوسف التقليدي. وغضب الشيخ يوسف مرة على تصرف الشيخ فريد ضد أحد أنصاره، فقال بلهجته المصرية على مسامع بعضهم:

- دي فريد يجب أن أصفه كفتين ثلاثا عاشان يتهدّب!

ونقل هذا الكلام إلى الشيخ فريد، فأرسل من يقول للشيخ يوسف:

- دي يوسف يجب أن أكتب مقالين ثلاثا ضدّه عاشان ما يهدّش!*

* نكات خازنية ٢، ص ٨١-٨٢.

جنون

وقعت سيدة تدعى جوليا صيداً جميلاً بين الشاعرين علي الحاج وأسعد السبعلي . فقال لها الأول :

عجبتك بالمحبة صار طالع
وفيكي الحجاج عمينظم مطالع
شفت الليل من نصك ونازل
وشفت البدر من نصك وطالع

وقال السبعلي :

عندي بالهوى والحب طالع
وأوصف نور وجهك بدر طالع
أنا يا عامرية قيس ثاني
وبدي جن من هلق وطالع

عبد

قال الشاعر أسعد السبعلي لسيدة حلوة قررت مغادرة لبنان إلى أفريقيا:

يا ست عبد الحب قلبي شي أكيد
نهارو ضنى والليل جرحات ونهيد
إن رحتي على افريقيا رح بسبقك
تا يزيد واحد رقم مجموع العبيد

سرت الحسنة بهذه الردة، وقالت له بغنج: بدّي ردة ثانية قبل ما سافر.

فاستجاب السبعلي لها وقال:

الله كوّنك هالقدّ

وصار يتمشى مقابيلك

كيف صّبك حلوي هالقدّ

بيظهر كان مستفضيلك

يا طيب طبّب نفسك

زارت زوجة أحد الخازنيين في صباح باكر وممطر، الشيخ فريد الخازن في منزله بجونه، وهي حامله شمسية، وأخذت تشكو له زوجها الذي يلعب بالقمار ويلاحق النساء. ثم طلبت إليه أن يحاول رده عن هاتين الأفتين قبل أن يخرب بيته. فوعدها الشيخ فريد خيراً.

وكانت ناهية زوجة الشيخ فريد، في أثناء ذلك تسترق الاستماع إلى الحديث الدائر. فما أن غادرت المرأة المنزل، حتى حملت شمسية وأسرعت إلى غرفة الشيخ فريد قائلة:

- أنا كمان جوزي بيلعب قمار وبيلحق نسوان. حكيلى معو. . .

فتطلع الشيخ فريد إلى زوجته، وقال لها:

- طمّني بالك. . . وهيدا راح أحكيه!*

* نكات خازنية ٢، ص ٨٩.

مسدس بيد هنري فرعون

قامت في سنة ١٩٣٧، زمن الانتداب الفرنسي، وفي عهد المفوض السامي الكونت شارل دي مارتل، ثورة بيضاء، من قبل الكتلة الدستورية ضد رئيس الجمهورية اميل إده، واتخذت مقرأ لها الباروك. وشوهد هنري فرعون، وسليم تقلا، وميشال زكور أبعد الناس عن السلاح، يحملون السلاح في هذه الثورة. وما أن رأى الشيخ فريد الخازن، المسدس في يد هنري فرعون، حتى خاطبه بقوله:

- الأفضل، يا هنري بيك، تحمل وراق الميت ليرا، بدل هالفرد لأننا بتصيب أكثر!*

* نكات خازنية ١، ص ١٤٧.

الصحافيون والطلب!

ضمّ مجلس نواب ١٩٣٧ - ١٩٣٩، عدداً من الصحافيين المنتخبين والمعيّنين، هم: خليل أبو جودة، اسكندر البستاني، ابراهيم المنذر، موسى نمور، خير الدين الأحذب، محيي الدين النصولي، جبران التويني، خليل كسيب وغبريال خباز.

وكان الشيخ فريد الخازن يتوقع من النواب الصحافيين أن لا يدعوا سواهم من النواب يتكلمون، لبراعتهم في الحكيم وبلاغتهم في الخطابة وصيتهم في الكتابة، إلا أن ظنه خاب، إذ كانوا خلال الجلسات في صمت مطبق، بينما كان النواب من غير الصحافيين يصولون ويجولون من على منبر المجلس، مما حمله على القول:

- زملاؤنا النواب الصحافيين، ادامهم الله، أعطوا شهادة في المجلس، على صدق المثل العامي: «الطلب الفارغ بودي صوتو لبعيد!»*.

* نكات خزنية ١، ص ١٤٨ - ١٤٩.

بكاء حبيب أبو شهلا على فلسطين

في إحدى جلسات المجلس النيابي، وكان البحث يدور حول القضية الفلسطينية، تكلم حبيب أبو شهلا، فاسهب كثيراً، ذارفاً الدموع السخية، على ضياع البلد الشقيق، مما حمل الشيخ فريد الخازن، أن يقف ويقول له علناً:

- والو... خليلنا، يا حبيب دور، واترك لغيرك الوقت تايبكي عا فلسطين!*

* نكات خازنية ١، ص ١٥٢.

زيح حتى نبكي

توفى الشيخ صليبي الخازن، وحن موعد نقل جثمانه من المنزل إلى الكنيسة للصلاة لراحة نفسه، فارتقى فوقه، وكيل املاكه، يبكيه نادباً، وبقي هكذا وقتاً طويلاً، مما حال دون اقتراب ذويه ليقوموا نحوه بواجب الوداع الأخير. الأمر الذي جعل الشيخ فريد الخازن يتقدم منه قائلاً بصوت عالٍ:
- بالاذن منك، زيح عا جنب نتفي، حتى نبكي نحنا ابن عمنا!*

* نكات خازنية ١، ص ١٥٣.

حق كِم جاكيت!

رَن جرس منزل الشيخ فريد الخازن، في جونه، قبل طلوع الفجر، فاستيقظ الجميع، على الرنين المتواصل. وفتحت الخادمة الباب، فإذا برجل يطلب مقابلة الشيخ لأمر ضروري.

وما أن رأى الشيخ فريد، الرجل، حتى بادره قائلاً: من دون أن يرَد له تحية الصباح:

- خير إن شاء الله؟

فأجابه:

- قاصدك على حق جاكيت.

فقال الشيخ فريد:

- ما كنت بتقدر تنظر تا توعا الشمس ونوعا معاً؟

فقال الرجل:

- أنت يا شيخنا، كَسَاب وهَاب. خفت من المحبين الكثار يسبقوني

وينفضوك وما يفضلني شي.

فناوله الشيخ فريد من جيب بنطلونه، ورقة مالية من الفئة الصغيرة،

قائلاً:

- قصاص إلك عا غدويتك، خود هيدي حق كِم بس. وروح فنبش عا

غيري يعطيك حق الكِم الثاني وباقى الجاكيت!*

* نكات خازنية ١، ص ١٥٣ - ١٥٤.



ولد سعيد فريحة سنة ١٩٠٥ في رأس الحرف من قضاء المتن. تلقى دروسه في مدرستها. ومن رأس الحرف انتقل إلى حلب، حيث عمل، كما يقال، مزيّناً في الوقت الذي كان يرأس فيه بعض الصحف والمجالات.

ثم عاد إلى لبنان، لينشيء سنة ١٩٤٣ مجلة الصياد، التي رأت النور مع الاستقلال. وفي سنة ١٩٥٦ أتبعها بمجلة الشبكة، فمجلة الأنوار سنة ١٩٥٩. وبعد ذلك توالى إصدار الدوريات من دار الصياد: سمر، الدفاع العربي...

ناضل سعيد فريحة في سبيل وطنه والصحافة، فنال أوسمة عدة رفيعة من لبنان ومصر والأردن وفرنسا... وكانت وفاته في سنة ١٩٧٨. تاركاً من آثاره «جعبة الصياد» و«الجعبة الأخيرة».

كان جيلاً من خفة الدم والسخرية، كما يقول يوسف أسعد داغر، كان في الصحافة مدرسة، كما كان فيها تاريخاً.

قال عنه الرئيس تقي الدين الصلح:

«كانت مواهبه كأديب وككاتب، كفنّان وإنسان، تجمّل موكب الجهاد والمجاهدين وتحوّل مشقّات العمل الوطني، وحتى تعثراته، إلى ربيع دائم من ثمار الفكر والذكاء والظرف والتفاؤل...».

سيارة تنهار تحت ثقل انسان

كنت صباح الأربعاء الماضي على موعد مع الأخ الزميل محمد مجذوب برحلة صحفية إلى دمشق.

وأنا، كما يلاحظ قراء هذا الباب، أجد متعة في رفقة محمد مجذوب لأنه شهم وظريف ورشيق عند الاقتضاء رغم حجمه الهائل!

وانطلقت مع الأخ محمد في سيارة مرسيدس ٣٠٠ طراز ٧٤، وكنت أجلس في جوار السائق كميل، ومحمد يجلس في صدر السيارة كَلَّه ما شاء الله.

وعند وصولنا إلى ظهر البيدر حدث شيء غريب جداً هو الأول من نوعه في تاريخ السيارات.

لقد انهار الجزء الخلفي من السيارة تحت ثقل محمد مجذوب والتصق بالأرض التصاقاً تاماً.

وكدت لا أصدّق ما حدث. كيف تنهار سيارة تحت ثقل انسان مهما يكن وزنه؟ أنا أفهم أن تنهار كرسي أو كنبه أو سرير عريض أو أي شيء مصنوع من الخشب، ولكن أن تنهار سيارة مصنوعة من الحديد والفولاذ والمعادن الصّلبة، فهذا فوق مستوى فهمي المتواضع!

وانتقلنا بعد ذلك إلى شترة، ومنها إلى دمشق في سيارة نجلي عصام، وهي فرنسية وماركة «سيتروين» وجديرة بهذا الاعلان المجاني لأنها استطاعت أن تحمل محمد مجذوب عبر الجبال والوديان وتظل سليمة... *.

* الجمعة الأخيرة، ص ١١٠.

الثالثة من أين؟

. . . وحدث مؤخراً وبعد انفجار الغلاء أن استدعيتُ من يفحص لي دمي، فجاء وأخذ عيّنة من ذراعي اليسرى، ثم أخذ عيّنة ثانية من ذراعي اليمنى.

وقلتُ له وأنا مرخي الذراعين:

- والثالثة، من أين؟

قال:

- لا لزوم.

قلت:

- الحمد لله، وكم تريد؟

فقال بجدّ:

- ٢٨٠ ليرة.

قلت:

- إليك ٣٠٠ ليرة، ولكن أحب أن أسألك: إذا أراد مريض غيري لا

يملك مؤسسة صحفية أن يفحص دمه، فمن أين يأتي بهذا المبلغ؟

قال:

- بسيطة، يستغني عن الفحص!

قلت:

- وعن العلاج طبعاً، بل وعن الحياة. . . فكان الله في عون شعب لبنان

من بعض أطبائه، وهم لحسن الحظ قلة لا يطالها قانون ولا يردعها

ضمير. . . *

* الجمعة الأخيرة، ص ١٤٣.

إمعان في التصديق

... وفجأة أطلت على الصالة صبية حسناء رشيقة القوام مرحة
الأعطف حلوة اللفات، فاستقبلها الشبان بالأهازيج وبأغنية:

طلّوا حبابنا طلّوا
نسم يا هوا بلادي

وأبت الصبية الحسناء إلا أن تردّ التحية بأحسن منها، فخلعت معطفها
وهات يا رقص شرقي لو رأته تحية كاريوكا لبايعتها الخلافة.

وبعد الرقص جاءت تجلس في جواري وتقول إنها لا تزال طالبة جامعية
تمارس الرقص كما تمارس الشرب والتدخين في المناسبات.

قالت هذا وقدّمت لي السيارة التي كانت تدخنها مقترنة بكلمة:
تفضل... خذ سحبة.

قلت:

- شكراً، لقد تركت التدخين.

فابتسمت وقالت:

- هيدا مش تدخين، هيدا شي ثاني، وإذا كنت لا تصدّق فتنفضّل خذ
سحبة وصدّق.

وصدّقْتُ... .

وبعد لحظات وجدت نفسي في جوار فتاتين لا فتاة واحدة.

وصدّقْتُ مرّة ثانية.

وكدت أقضي بقية الليل وأنا أصدق وأمعن في التصديق لو لم أجد إلى
التسلح بالإرادة التي هي وحدها حمتني في تلك الليلة من الاسترسال في
التصديق...*.

* الجمعة الأخيرة، ص ١٥١ - ١٥٢.

بلا رذالة!

... عرفتھا كما عرفھا المجتمع اللبناني من أجمل وأذكى النساء وأكثرهن ظرفاً و«حشرية» عند اللزوم.
وقد شاءت أن تحشر نفسها في موضوع الساعة، فجاءت تقول لي:
اكتب في حكاياتك إنّي مع السادات.

قلت:

- وهل أذكر الاسم؟

قالت:

- لا... .

- لماذا؟

- لأنني لا أزال انتظر النتائج لتكمل فرحتي.

- وماذا ستكون النتائج في تقديرك؟

- الصلح العادل والمشرف.

- وإذا جرت الرياح بما لا تشتهي السفن؟

- عندئذٍ يكفي القول إنه باستثناء الحرب العالمية الثانية، وصعود الإنسان إلى القمر، ورحيل جمال عبد الناصر المفاجيء، وفضيحة ووترغيت، وزلزال سان فرنسيسكو أيام زمان، ونقل جبل الجليد في هذه الأيام من القطب الشمالي إلى البحر الأحمر، باستثناء كل هذا وغيره فإن زيارة الرئيس محمد أنور السادات لإسرائيل تظل هي الحدث الأكبر والأغرب الذي ملأ الدنيا وشغل الناس.

- ولا يزال، أليس كذلك؟

- طبعاً، وأتمنى أن تنتهي هذه الصرعة على خير.
- خير من؟
- خير العرب جميعاً، وخير مصر وسورية بصورة خاصة.
- نسييتَ خيرنا نحن الاثنين.
- بلا رذالة... عم نحكي سياسة!*

* الجعبة الأخيرة، ص ١٥٤ - ١٥٥.

مَنْ يَعْلَمُ مَنْ؟

... يحلو للزميل العزيز نبيل خوري صاحب مجلة «المستقبل» التي تصدر في باريس أن يقول بكل مناسبة وبلا مناسبة أحياناً، كلمة خير في كاتب هذه السطور.

وآخر ما قاله في مجلته الناجحة إنَّ العبد لله الذي هو أنا قد علّمه أشياء كثيرة في الصحافة وفي الحياة. وقد يكون هذا صحيحاً وقد يكون مبالغاً فيه، فالمهم إنّي لم أعلّم نبيل خوري الموهبة لأنها لا تعلّم.

ولم أعلّمه الوفاء لأنه هو أيضاً لا يعلم.
بقي أن أعلّم أنا من نبيل كيف استطاع أن يصدر مجلة ناجحة في باريس؟*.

* الجمعية الأخيرة، ص ١٥٧.

جلوس على الكنبه

رحم الله الزعيم الخالد رياض الصلح . كان كلما اشتدت عليه هموم الحكم ومتاعب الزعامة في مطلع عهد الاستقلال، تلطف وطلب مني أن أنجده بحفلة طرب في بيتي المتواضع .

وكان متواضعاً بالفعل، خصوصاً من ناحية الاتساع، إذ سرعان ما يضيق بالنبهة المختارة من أصدقاء رياض ومحبيه، فيضطرّ معظمهم إلى الجلوس على الأرض .

وأذكر أنّ الصديق عزت جعفر جاء مرّة من الكويت ليحضر حفلة تغني فيها الشحرورة صباح وترقص تحية كاريوكا، فأبى إلا أن يظلّ جالساً على الكنبه بين رياض الصلح ويوسف سالم .

وصاح أحد الوزراء المتربّعين فوق السجادة:

- يا أخ عزت، لماذا لا تجارينا وتجلس على الأرض؟
فأجابه:

- لأنه مضى عليّ أكثر من عشرين عاماً وأنا أجلس على الأرض دون أن تجاريني معاليك، فأرجو المعذرة... *

* الجمعة الأخيرة، ص ١٥٨ .



هو ظريف لبنان، عرف بهذا اللقب، وبه سيبقى حياً في ذاكرة اللبنانيين والعرب، وكيف ينسى وقد لَوّن أيامنا بألوان الفرح والضحك المحيي؟
ولد نجيب حنكش في زحلة سنة ١٨٩٩، على ما يعتقد، أي في نهاية القرن التاسع عشر.

غادر لبنان سنة ١٩٢٢ إلى البرازيل، حيث أمضى شطراً كبيراً من حياته، في كفاح مرّ ضدّ الفاقة والحرمان، حتى تمكّن من أن يرتاح، وكانت عدّته في كفاحه: الإيمان بالحياة وموهبة فنيّة وأدبية فطرية، رفدتها نعمة الصوت الجميل.

مارس الغناء، وكان لحن «أعطني الناي» أحلى ما أعطى. كما مارس الصحافة، فأصدر سنة ١٩٣٤ جريدة «لبنان»، وحملها الكثير من ظرفه ونكاته.

عاد إلى لبنان، حيث استقرّ، فقدم برامج تلفزيونية، إلى إسهامه في نشر أجواء الفرح في ربوعه، سواء من خلال لقاءاته أو من خلال ما ينشره في صحفه ومجلاته. وقد أصدر سلسلة من «الحنكشيات»، ضمّنها خواطره، وآراءه في السياسة والمجتمع، ونكاته وفكاهاته، وهي الفاكهة الطيبة التي تركها نجيب حنكش، بعد أن توفّاه الله سنة ١٩٧٩، للوطن المعذب.

شو بدك منو

كان أحد الباشاوات يمسح حذاءه في زحلة، وكان بالوقت نفسه يعلك .

فسأله ماسح الأحذية: «شو عمتعلك يو؟»

فاغتاظ الباشا، وقال: «وانت مالك تسألني إعلك إيه، خلك في عملك بالصُرماية وبس...» .

وقبل انتهاء العمل عاد الولد يقول: «يا شيخ بتعلك، وبتعلك وما بيتلعه؟!» .

اغتاظ الباشا، ونادى صاحب المحل يشكو ماسح الأحذية على غلاظته. فما كان من صاحب المحل إلا أن وُبِّخ الولد قائلاً:

- وشو بدك من الباشا، عم يعلك صرماية عتيقة، شو بدك فيه؟!*

* النكتة اللبنانية تنمّة لحضارة حلوة، ص ٩٣ .

بعدين الدفع

أصيب ابن أحد الزحلّيين بالمرض، فراح الأب يتردّد على جميع الكنائس وينذر النذور... ولكن، لمّا كان عدد الكنائس كبيراً، خشيت امرأته شرّ هذا التبذير، وقالت له:

- يا رجال، حاج تكثّر النذورة منين بذك تدفع هالمال؟
- أجاها: خليه يصحّ الصّبي، وأنا بتفاهم مع الله!*

«انضم إلى الحلفاء»

أبو علي بيروتي بسطاويّ، كان يملك حماراً قبرصياً يشغله على «طنبر» في النقلات المحليّة. وحدث أنّ الحلفاء أخذوا أيام الحرب الأخيرة يصادرون الحيوانات لإرسالها إلى الجبهة، فوقع اختيارهم على حمار أبي علي، وصادروه. وقد حاول صاحب الحمار عبثاً أن يقنعهم بإعادته إليه.

والتقى بعد يومين بصديق له، فسأله هذا الأخير:

وين الحمار يا أبو علي؟

أجاب: «يا خال... الحمار انضمّ للحلفاء!...»**

* النكتة اللبنانية تنمّة لحضارة حلوة، ص ٩٤.

** النكتة اللبنانية تنمّة لحضارة حلوة، ص ٩٤-٩٥.

صيّاد كذاب

كان صيّاد يوهّم امرأته دائماً أنّه أمهر صيّاد في بلده، وكان كلّما ذهب إلى الصيد، ابتاع ما تيسّر له من العصافير والحجّال التي اصطادها سواه، ووضعها في «الجربندية» أي «الجعبة»، وانطلق بها نحو البيت فرحاً.

وحدث أن ذهب صاحبنا يوماً إلى الصيّد، ونسي بندقيّته في البيت. ومع ذلك فقد عاد بالصيد المعتاد، وحين دخل البيت سألته زوجته:

- عجيب! كيف ذهبت إلى الصيد، ونسيت البندقية هنا؟

أجاب: معك حق... كنت كل ما قوّصت ضرب، قول: «مدري شو ناقصني!»*.

* النكتة اللبنانية تتمة لحضارة حلوة، ص ٩٥-٩٦.

حزازير؟!

أراد يوماً رجل مداعبة امرأته البسيطة الساذجة فسألها:

كيفك بالحزازير؟

فأجابت أنها تعرف بكل شيء.

إذاً، «شو اسم شي مدور وأخضر، ومحيّز من برّا، ومن جّوا أحمر، وفيه بزر، وعندما بيتاعونه يقولون: شي بيحليّ ويسليّ ويعشيّ الحمار، وأول حرف منه ب؟

فأجابت الامرأة على الحارك: بيروت يا روجي...
وكان الله بعون الزوج والبطيخ وبيروت*.

فضيلة الزواج

كان أحدهم يتحدث إلى ابنه الصغير عندما مرّ بهما حمار، فسأل
الصّبي أباه:

قل لي يا بابا، الحمير بيتزوجوا؟

فأجاب الوالد:

يا تقبر بيك، في غير الحمير بيتزوجوا!!!**.

* النكتة اللبنانية تتمة لحضارة حلوة، ص ٩٦.

** النكتة اللبنانية تتمة لحضارة حلوة، ص ٩٧.

حرام تحطو بدمتك

سأل الأستاذ أحد التلاميذ قائلاً: «من خلق السماء والأرض؟» وكان صوت المعلم كالرعد القاصف. سمع التلميذ صوت الأستاذ المتهدج فخاف، وقال: «مش أنا يا معلمي».

وعاد المعلم للصياح بقوله: «العمى بقلبك مش عارف مين خلق السما والأرض؟».

وعاد التلميذ يبكي ويقول: «والله يا معلمي مش أنا خلقتهم».

فغضب الأستاذ وترك المدرسة، وعاد إلى بيته كئيباً حزيناً، ولما سأله زوجته: «شو القصة؟» قال: «سأترك التعليم، لأن التلاميذ حمير! تأملي يا ست، إني سألت تلميذاً سؤالاً بسيطاً للغاية. قلت له: من خلق السما والأرض؟ أجاب الحمار: مش أنا يا معلمي».

فأجابت السيدة «الذكيّة»:

« حرام عليك تحطو بدمتك، بلكي مش هو خلقتهم»*.

* النكتة اللبنانية تتمة لحضارة حلوة، ص ٩٧-٩٨.

مسمار العين

سافر بائع زهور إلى بلد بعيد فكتب لزوجته رسالة قال فيها:
«يا زنبقة قلبي، يا زهرة حياتي، يا وردة أحلامي، يا فلة عيني».
فُسِّرتُ الزوجة بالرسالة، وأخذت تتلوها أمام جاريتها. فغارت الجارة،
وقالت لزوجها، وهو نجّار:
- شوف جارنا كيف بيّعت لمرتو مكاتيب حلوة، ليش ما بتكتب لي
هيك مكاتيب!؟

فقال: «وحياة عينك بَسّ سافر بكتبلك...».
وفعللاً بعد مدّة سافر النجّار، وبعث لزوجته رسالة قال فيها:
«يا شاكوشة رأسي... يا فارة جييتي... يا لزقة غري... يا منشار
رقبتي... يا مسمار عيني على طول حياتي...»*.

* النكتة اللبنانية تنمّة لحضارة حلوة، ص ٩٨ - ٩٩.

مداعبة

كانت الجدة تداعب حفيدها وتلاطفه، فأحَبَّ الطفل أن يبادلها بالمثل، فقال:

- يا ستي شو رأيك، بتزوجي، أو بتاكلي مهلبية؟
أجابته: «تقبر ستك... منين إني سنان للمهلبية؟...»*

الفرسان الثلاثة

وضعت امرأة ثلاث بنات دفعة واحدة، وبعد قليل جاء جار للعائلة يُهنئها بسلامة الأم. فقال لزوجها: «بماذا تُعلل هذا الخصب؟»
أجاب الزوج: «إني أُقدِّر أن للوحام السبب الأكبر».
وحين سمع الجار هذا، سأل: «وكيف تم هذا الوحام وعلى أي شيء؟»
قال الزوج: «إن امرأتي كانت تقرأ الرواية المشهورة: «الفرسان الثلاثة»، وأعتقد أن هذا هو السبب الوحيد».
«يا معترِّ يا جريس على هالوقعة: مراتي تقرأ اليوم «علي بابا وأربعين حرامي»**».

* النكتة اللبنانية تنمة لحضارة حلوة، ص ٩٩.

** حنكشيات ص ٩٩.

بين المشنوق والمخنوق

جاء رجل من زحله، إلى بيروت، فالتقى برجل بيروتي، فسأله:

- دخلك، وين جريدة عبد الله المخنوق؟
فقال له البيروتي مُسْتَعْرَباً: ولو؟... اسمه عبد الله المشنوق، مش
عبد الله المخنوق.

وردّ الزحلاوي على الفور: يا تقبرني، شو يعني؟ حسّتلو حالتو؟!*

لكن... ما زوجوه

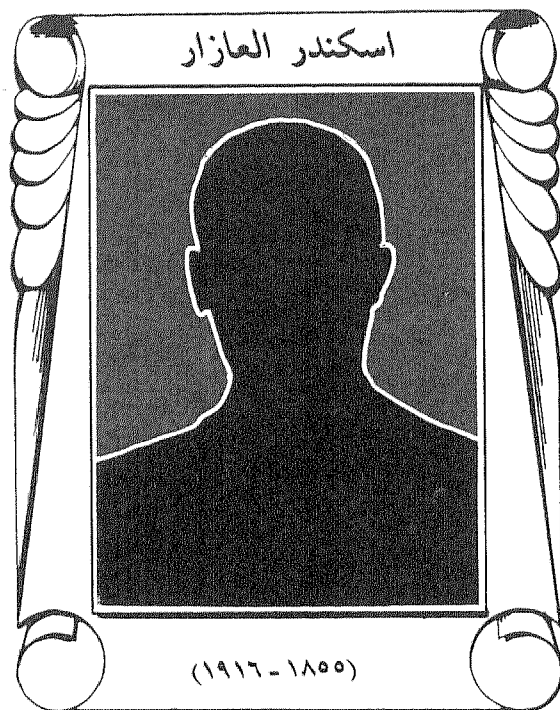
كان أحد الكهنة يعظ في الكنيسة عن التضحية، ومما قاله:
«أنّ السيد المسيح ضَحَّى بنفسه لأجلنا، فصلبوه، وكلّوه بالشوك،
وسقوه المر».

فاحتجّ أحد الحضور، وكان معذباً في زواجه، قائلاً:

- نعم يا بونا إنّ المسيح صلبوه، وعدّبوه، وكلّوه بالشوك، وسقوه المر،
ولكن هل زوّجوه؟**.

* حنكشيات ص ١٢٩ .

** حنكشيات ص ١٣٧ .



ولد في بيروت سنة ١٨٥٥. تلقى علومه في مدارس بيروت وسوق الغرب وعبيه.

شغل وظائف رسمية وفي مجال العمل الخاص. وأرسلته الدولة العثمانية إلى باريس لمفاوضة وزارة المالية الفرنسية حول موضوع توحيد الدين الفرنسي، كما استدعته الحكومة الفرنسية ليحرر في جريدة عربية تصدر في باريس.

أولع بالأدب، فبرز فيه نائراً وشاعراً ومؤلفاً مسرحياً. جمع حوله الأدباء في حلقة عرفت بحلقة الشيخ اسكندر العازار. جاء في «لبنان الشاعر» لصلاح لبكي في حديث عن الأخطل الصغير: «لم يكن شاعرنا الكبير بشارة الخوري، الذي نشرت له دار المعارف ديوان «الهوى والشباب»، إلا واحداً من حلقة الشيخ اسكندر العازار، يختلف إلى مجالسه فيصغي مع المصغين إلى نوادره الأدبية والشعرية...».

مارس الشيخ اسكندر الصحافة، فحرّر في صحف عدة منها «لسان الحال» و«الأحوال» و«البرق». . . ولعب دوراً سياسياً عربياً، فحكم عليه بالتفني ثلاث مرات، ولم تنفذ فيه الأحكام. إلا أنه سجن سنة ١٩١٣ أياماً معدودة. وكانت وفاته في الرابع عشر من كانون الثاني سنة ١٩١٦.

اشتهر اسكندر العازار بحرية الرأي والجرأة، والظرف والدعابة، وسرعة الخاطر.

من مؤلفاته: «من حواضر البيت» وفيه يتجلى أسلوبه الفكاهي الانتقادي للأوضاع السياسية والاجتماعية. وتمثيلتان: حرب البسوس ومجاعة رومية.

السرقه والحراسه

في بيروت كما في كلّ المدن فريق للسرقه وفريق للحراسه وأحياناً يتناوبون. . أي حاميها حراميها.

أمّا الآن فليس عندنا إلاّ فريق السرقه ولهذا تعدّدت السرقات، وكان لداري منها نصيب حتى «بزّ» السيكاره الذي كنت معدّاً له يوبيل الخمس والعشرين. فسلمت أمري لأصدقائي في دائره البوليس ولمعارفي ممّن يعرفون «الزعران» وفاتني أن لا أسلم الأمر إلاّ لله وهذا كما يقال حدّ النصيب.

فتشاور أهل الأحياء في إقامة حرّاس من لدنهم ريثما تصفو الحال وتعيد البلديه حرّاسها. وهذا رأي حضرة ناظم باشا والي الولاية أيضاً. كما ورد في منشوره. وبعبارة أخرى اتفقوا على العمل بقول المغنيّ:

هي جالو هي جالو العرب يا جمّالو
في أرض بريّة الشاطر يحمي حالو

ونعم ما يقولون.

وأما العبد الفقير إلى الله المؤمن بالله فلا أتكلم من هذا القبيل إلاّ على ما جاء في الزبور وهو: «إن لم يحرس الربّ المدينة باطلاً يتعب الحرّاس».*

* من حواضر البيت ص ٥ - ٦.

في الشوارب

كنت أمس مع صديقي الخواجا الياس الشويري من محلّ الخواجات
مورك، وكان المجلس مجلس أنس تُرفع فيه كأس الشوارب. وأمرني أن لا
أنساها في الحواضر فأتيت الآن بها من قريب.

لا شك أن الشوارب، وقاها الله، من حلاق الافرنج زينة في وجه
الرجل وأيّ زينة. وهي عند كثيرين تقوم مقام مسبحة التسلي. والرجال
يتفننون كثيراً في وضعها وتركيزها.

فمنهم من يستعمل المكواة على طريقة ألمانية ليكون الشاربان واقفين
كالعقربين على الساعة «عشرة وعشرة».

ومنهم من يستخدم «الفكس ماستاش» أي مقوّم الشوارب، وفيهم
صديقي المذكور وله عناية خاصة بالشاربين.

ومنهم من يوقفها على السلاح «هوزدور» مثل صاحبي الياس افندي
شديد الوكيل العام لجريدة الوطن.

وعندي إن خير الشوارب للرجل هي التي يفصلها على ذوق من يهوى
من النساء*.

* من حواضر البيت ص ١٤ - ١٥.

حواضر نسوانية

لنساء جميل عليّ وكفيني ذكر الأم والأخت والصديقة .

عَتَبْتُ عليّ حسناء، من هذا الجنس بأني أعتيت «في الحواضر»
بالشَّارِب واللحية ولم يكن نصيب فيها للمحرومات من هذين الاثنين صاحبات
الشعور والشعور. فوعدها بكثير هذا قليله :

تركب السيدة الافرنجية والمتفرنجة ظهر حيوان طريّ وتستر الرّجل
بالرّجل حشمةً واستحياء .

وهي تركب اليوم المركب الخشن (السيكل، البسيكل) الدّراجة الكّراجة
على الصورة التي نراها ولا يمنعها حياء. الحقّ الحقّ أقول لكم لا أعلم
لماذا!!

تهتمّ عزيزتي المشار إليها (لا الفلاحة ولا الزّراعة) بتحويل جسمها من
حال إلى حال حتى وصل الهوس «بمدام سنيورة» إلى التوصية بأن يجهزوها،
رحمها الله، بثوب «ديكولتي» نصف العرية، فأخروا المسير بالجنّازة إلى أن
تحضر حضرة الخيّاطة .

ولا تجهلون مقدار ما بي من الخجلة لدى بوس أيادي «السيدات» العادة
الدّارجة عندنا حديثاً وهي خارجة... .

على أنّي أفيد تلك الحسناء أن لا مطمع منّي بمداهنة وتمليق نساء،
فقد أصبحت أغني :

حَطَطَ الجَمّال وطوينا الحبال*

* من حواضر البيت ص ٢٦ - ٢٧ .

نظام لبنان المذهبي

أما بعد فإنّ الأمر الأخير الصادر من نظارة الداخلية في شأن انتخاب جبل لبنان أعضاء لمجلس المبعوثان، حرّك (خلاقين) القال والقييل في جبلنا السعيد الذكر.

الكلّ يعلم أنّ في الجبل فئتين إيجابية وسلبية. فإذا فرضت الفرض البعيد وحسبت الكميتين متساويتين فإحدهما تنفي الأخرى.

وللدستور أحكام في عدد الذكور بمقتضاها لا يحقّ الانتخاب لأقضية زحلة والكورة وجزين ومديرية دير القمر إلا إذا توحدت مؤقتاً بنعمة الدستور.

والدستور يوجب التساوي وصرف النظر عن المذاهب فهل يتيسر ذلك في لبنان وقاعدة نظامه في المأموريات التفريق في الأديان من دولة المتصرّف إلى قائمي المقام إلى الأعضاء حتى الكتاب.

نضرب مثلاً لهذا يشرح الصدر:

الكّتّبة لمجلس الإدارة:

باشكاتب. ماروني.

كاتب ثاني. درزي.

كاتب ثالث. روم أرثوذكس

كاتب رابع. ماروني.

كاتب خامس. روم كاثوليك.

كاتب سادس. ماروني.

أي عبارة عن ورق «شدة» مفروط في جيب أرناؤطي.

وكيف ينطبق الدستور على جيل كنت ترى في صدر مجلس الإدارة. فيه
رقعة مكتوبة بأجمل خط:
(ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة)؟ مسألة فيها نظر و... عمى* .

* من حواضر البيت ص ٢٨ - ٢٩ .

قومندان

جاء بيروت نجيب بك قومنداناً للجندرية جديداً لم يسعدني الحظ بأن
أعرفه بعد.

يبين أنه جندي صحيح يريد ويقدر أن يخدم الولاية خدمةً حسنةً، ويبين
من تباشيره حتى الآن أنّ هذا الرجل رجل.

لكّنه ما كاد يقوم بما عليه حتى أستمعه فونوغراف الصحف ذلك «الدور
القديم» الذي ملّته الأذن كما ملّت كل فونوغراف وغناء: «يا همّام يا مقدام يا
حزوم يا عزوم وهلمّ جرّاً...» وقد بلغني، والعهدة عليّ، أنّ أرباب الصحف
يحضرون له المباخر والعطور.

فأنا لذلك أسأله أن لا يُغرّبنا ويعوم على جرابنا. فهي صفات مصفوفة
حروفها منذ عرفنا المطبعة. ونعوت يستوي عندنا فيها من صلح لها ومن لم
يصلح. وأرجو منه (لطفاً وإحساناً) أن يوميء إليهم بطرف خفيّ أن يقتصروا
في ذكره على عمله. وفقه الله*.

* من حواضر البيت ص ٣٥.

تحرير غريب

الصاحب الشاب اللطيف الظريف الساعاتي في رأس سوق الطويلة نَعوم
أفندي سودا عاضني من ساعتني وسلسلتها المسروقتين بمعرفة البوليس
بجورنال رسمي «كستيك ذهب أميركاني» .

عَوَضَ اللهُ عَلَيَّ وَعَلَيْهِ . لَكِنَّهُ كَدَّرَ صَفْوِي بِتَحْرِيرِ أَرْسَلَهُ إِلَيَّ مَشْحُونٍ
بِالاسْتِعَارَاتِ وَالْكُنَايَاتِ الْمَصْطَلِحِ عَلَيْهَا عِنْدَ قَوْمٍ مِنْ كِتَابِنَا .

هَذَا هُوَ تَحْرِيرُهُ وَاحْمَلُوا عَنِّي شَيْئاً يَا سَادَتِي الْقُرَاءَ :

إِلَى مَجْدَرَةِ اللُّطْفِ وَمُدْرَدَةِ الظَّرْفِ وَهَرِيَسَةِ الكِمَالِ الشَّيْخِ اسكندر
أفندي العازار أدام اللهُ تَعَالَى مَقَانِقَ وَجُودِهِ .

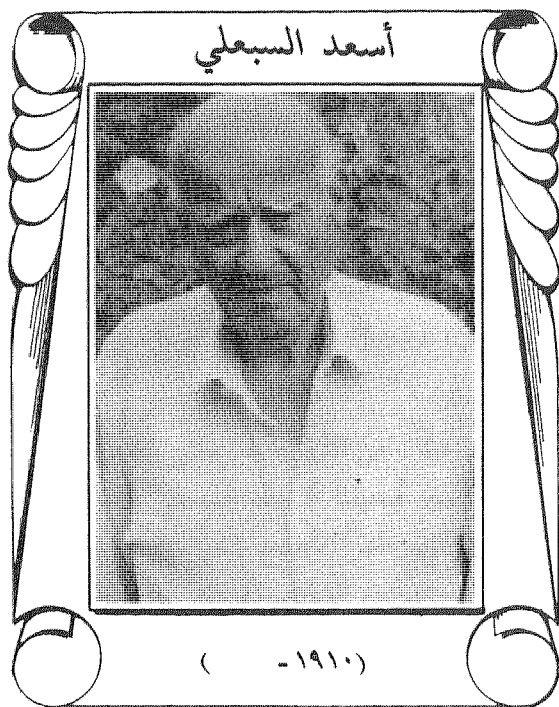
أَكْتُبُ إِلَيْكَ وَشُورِبِيَةَ الدَّمْعِ تَسِيلُ عَلَيَّ كَبَّةَ خَدُودِي وَيَخْنَةُ الكَشْكَ تَقْطُرُ
مِنْ خِيَاشِيمِي مِنْ هَبْلَةِ رَشْتَةِ الفِرَاقِ المَالِئَةِ رَأْسِي وَقَلْبِي يَحِيطُ بِهِ مِنَ الهموم
شَيْخِ المَحْشِي وَيَدِي المَبْتَلَاةُ بِحَرَّاقِ إصْبَعِهِ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيْكَ مَا
يَخَالِجُنِي مِنَ مَعَالِيْقِ الوجودِ وَمَخْلُوطَةِ الشُّوقِ وَمَحَاشِي الهِيَامِ وَمَحْمَصَةِ الغَرَامِ .

(الله الله)

جِسْمِي لِفِرَاقِكَ لِحْمِ مَشْوِي نَشْفُ مِنْ كَثْرَةِ الهِجْرَانِ فَاسْأَلُ المَوْلَى أَنْ
يَسْكَبَ عَلَيَّ مَهْلَبِيَةَ الصَّبْرِ وَمَغْلِي السَّلْوَانَ وَالسَّلَامَ مِنْ أَخِيكَ الجَوْعَانَ .

انتهى والحمد لله* .

* من حواضر البيت ص ٣٩ - ٤٠ .



اسعد السبعلي صوته من لبنان، وعينه من لبنان وقلبه من لبنان ولهجته من لبنان. بهذا وصف الأديب الكبير ميخائيل شاعرنا.

ولد في سبعل في قضاء زغرنا سنة ١٩١٠. درس في مدرسة تحت السنديانة، وتحتها نما، ونمت معه موهبة شعرية نادرة.

أولى قصائده نشرها في «الأرز» لصاحبها يوسف الحتي. واستمر حتى صار له مكان بارز في ميدان الشعر إلى جانب الكبار.

أصدر سنة ١٩٣٨ جريدة «السبعلي»، وشارك في تأسيس عصبة الشعر اللبناني. أسهم في خلق الأغنية اللبنانية، فأغانيه كانت وراء نجاح العديد من المطربين والمطربات اللبنانيين المعروفين أمثال وديع الصافي ونجاح سلام.

منحه الرئيس شارل حلو وسام المعارف اللبنانية ومعه زميله الشاعر أسعد سابا، وكان اسمهما أدخلتا في الموسوعة الفرنسية الكبرى. وفي عهده، منحه الرئيس سليمان فرنجية وسام الاستحقاق اللبناني.

شعره ترجم إلى لغات أجنبية عدة. من آثاره: عطور من لبنان، هادا لبنان، حكايات، سلوى، ومنجيرة الراعي، ويا بو جميل.

قال عنه أمين نخلة:

«هذا نبذ سبعلي حقاً. من الذي حلّله بعض الشعراء في عصر متقدم، وحرّم غيره، وقد جاء اليوم صديقنا الاستاذ السبعلي ينقله إلى الورق بطعمه ودسمه ولطف شعاعه، كان خمراً فأصبح شعراً، وكان نعيم الله في كأس فأصبح نعيم الله في طرس من يد الشارب إلى يد القارئ، فهنيئاً مريئاً له».

وإلى جانب شاعريته، اشتهر السبعلي بالظرف وسرعة الخاطر، فتردّت أشعاره وردّاته ودعاياته على كل شفة ولسان.

شمس

روى كبير شعرائنا أسعد السبعلي هذه الحكاية. قال:
كنت نازل عابىروت، وحدّ منى بالسيارة بنت عشرينية، والشمس عم
تتكرفت بهالبحر، ولمن عرفتنى طلبت منى إعطىها صورتي تذكّار... .

ما عندي.. منين بدي جيب
الصورة المطلوبة منّي؟
شوفي الشمس العم بتغيب
هي أصدق صورة عنى...

جنون

وقعت سيدة تدعى جوليا صيداً جميلاً بين الشاعرين علي الحاج وأسعد
السبعلي . فقال لها الأول :

عجبتك بالمحبة صار طالع
وفيكي الحج عمينظم مطالع
شفت الليل من نصك ونازل
وشفت البدر من نصك وطالع

وقال السبعلي :

عندي بالهوى والحب طالع
وأوصف نور وجهك بدر طالع
أنا يا عامرية قيس ثاني
وبدي جن من هلق وطالع

عبد

قال الشاعر أسعد السبعلي لسيدة حلوة قررت مغادرة لبنان إلى أفريقيا:

يا ست عبد الحب قلبي شي أكيد
نهارو ضنى والليل جرحات ونهيد
إن رحتي على افريقيا رح بسبقك
تا يزيد واحد رقم مجموع العبيد
سرّت الحسنا بهذه الردّة، وقالت له بغنج: بدّي ردّة ثانية قبل ما سافر.

فاستجاب السبعلي لها وقال:
الله كوّنك هالقدّ
وصار يتمشى مقابيلك
كيف صبّك حلوي هالقدّ
بيظهر كان مستفضيلك

ضيعانك

مازحت صبية حلوة الشاعر اسعد السبعلي وقالت له: ضيعانك يا أسعد
تشيّب. فردّ عليها مرتجلاً:

في منو شيّب بينحب
وفي منو شيّب بينسب
شو همك لو شعري شاب
ما دام قلبي بعدو شب

روحي هون

الشاعر الكبير أسعد السبعلي زار يوماً إحدى الحسنات ولم يطل.
فقال له: «ضيعانك تروح بكير يا أسعد». وكان ردّ الشاعر الفوري:

وردة فيكي أحلى لون
وأحلى صورة بكتابي
بروح وبترك روعي هون
توصّي فيها بغياي

خوري

الشاعر بطرس الخوري المعروف بالمتريتي، نسبة إلى متريت في قضاء بشري، سيم كاهناً بعد بلوغه الخمسين من العمر باسم جرجس الخوري العنداري. بعد السيامة التقاه أسعد السبعلي فقال له مازحاً:

سَتَ الكنت بتعرفها
وتسهر عندا لييلي
كيف لك عين تعرفها
وتحلّأ من الخطيبي؟*

* وجوه ومرايا ص ١٦٥.

إجرة طريق

يقول أسعد السبعلي :

تلاقيت مرةً بصديقي الشاعر جورج صيدح قلبي : أنا مسافر بكرا عا
باريس، وإذا إجاك شي مشوار عافرنسا تلفنلي عاهالنمرة حتى شمّمك الهوا
هونيك .. كتبتلو هالبيت وهربت من الدرب:

رح بيع ديواني «ورق للصرّ»
لو جرحت التاريخ هالبيعة
وبركي بهالبيعه حدا بينغرّ
إجرة طريق، من هون... للضيعة*

* منجيرة الراعي ص ١٠١ .

خواطر شعراء

في تشرين ١٩٤٨ عاد الأديب الشيخ حبيب مسعود (بشري) من البرازيل إلى لبنان للمشاركة في مؤتمر الأونيسكو الذي عقد في ١٧/ ١١/ ٤٨ في بيروت. وفي صبيحة يوم من أيام إقامته في الوطن، زاره عدد من الشعراء. دار الحديث وقتذاك حول نهضة الزجل (الشعر اللبناني). وشاء رئيس العصبة الأندلسية مسعود أن يتركوا في مذكرته شيئاً من خواطرهم، فكتب الشاعر أسعد السبعلي:

«عصبتك» للفرّغ غنيّة أمل
وكرة كئار الروح في عرس الجهاد
خذلي معك عطر الجبل من هالجبل
وفرّقع كلّ غيَاب البلاد
وكتب أسعد سابا:

لبنان مشعال التحرّر يا حبيب
وروح الثقافة العالية ورمز الأديب
خبّر ولادو العايشة خلف البحور
أرزو استقلّ وما بقا يحبّ الغريب

وكتب إميل مبارك:
رمان متلان حبّ يشبه للخرز
والكوز حدّ الكوز عالمند اندرز
بيكلّ عمرك شفت شجرة بشمرتين
رمان بيدون حبّ ويحمل كرز

وكتب اميل رزق الله :
قامت من النوم عاخذًا قمر
لبست قميص شفاف من أعلى النمر
وعاجها لما اختلج تحت الحرير
مثل الحرامي الراكض بضو القمر



عرف بشاعر الشعب، لما كان لأغانيه الانتقادية والمنولوجات التي كان يقدمها ويغنيها، من قوة التعبير عن مشاعر المواطنين ومواقفهم تجاه ما يجري في البلاد من تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية. كان نسيج وحده في هذا اللون من الشعر الغنائي الشعبي.

ولد عمر الزعني في بيروت سنة ١٨٩٥. وبعد خمس سنوات، أدخل مدرسة العباسية، وانتسب إلى فرقتها الموسيقية.

في سنة ١٩١٣ تخرّج من العباسية، ومارس التعليم فيها. وعندما اشتعلت الحرب الكبرى الأولى سافر إلى حمص، والتحق بالمدرسة الحربية، ليتخرج منها برتبة ضابط إداري، فعين ضابط إعاشة في الجيش العثماني.

في سنة ١٩١٦ أهدمت السلطات العثمانية مجموعة من أحرار لبنان وسوريا، وأبعدت عمر الزعني إلى فلسطين. وبعد اندحار الجيش العثماني وسيطرة الحلفاء على المنطقة، عاد الزعني إلى لبنان.

في بيروت عمل مدرّساً، ثم دخل الوظيفة الرسمية. وإلى ذلك التحق بمعهد الحقوق الفرنسي دارساً المحاماة. لكنّه أقيل من وظيفته ومُنع من متابعة دراسته الجامعية، بسبب أغنيته المشهورة «حاسب يا فرنك، يا فرنك حاسب» التي نظمها على أثر هبوط الفرنك الفرنسي، عملة الدولة المنتدبة.

ظلّ عمر الزعني يكافح بأغانيه، ويشير همم المواطنين ونقمة الحاكمين، من أجل الحرية والعدالة والديمقراطية في لبنان، غير عابئ باضطهاد أو نفي من البلاد، حتى قضى سنة ١٩٦١.

قال فيه الشاعر محمد يوسف حمّود:
«الكلام عن الزعني يجرّ ويجرّ حتى لا يكفيك أوراق وأقلام للكتابة عن
شخصية وأشعار وأفكار وتطلّعات عمر الزعني، إذا كان ذلك في الماضي أو
الحاضر أو المستقبل، لأنه رحمه الله لم يترك شاردة ولا واردة إلاّ وأتى على
ذكرها وانتقادها. فعمر الزعني موسوعة علمية خالدة يستفيد منها كل من يريد
أن يعرف تاريخ لبنان والعرب».

جددلو

عندما ظهرت نوايا الرئيس بشارة الخوري وأنصاره ومؤيديه في تجديد ولايته، أنشد عمر الزعني هذه الأغنية، التي سببت له الملاحقة من قبل السلطة والحبس.

جددلو ولا تفزع
خليه قاعد ومرّبع
بيضلّ أسلم من غيرو
وأضمن للعهد وأنفع

* * *

تاري حساب السرايا
غير حساب القرايا
وفي الخبايا بلايا
والمطران فقس المدفع
بيّن سوء النية

* * *

وجه عرفناه وجربناه
وعرفنا غايتو ومبداه
ووافق هوانا هواه
قدّام خصمو يا محلاه

ما دام ظهرت نواياه
ما عاد في مانع يمنع

* * *

لا تخاف إلا من الطفران
والمحروم والجوعان
أما المليون والشبعان
من لقمة زغيري يبشبع
ومدامتو شبعت سفر
وإخواتو شبعوا بطر
ما عاد في منو خطر
ما عاد إلو ولا مطمع
جددلو ولا تفرع... *

* عمر الزعني موليير الشرق ص ٤٣٧ - ٤٣٨.

الشعب المسكين

كلا ثلاث أربع أشهر
ببتغير الدواوين
بيتبدل المأمورين
بينزل ناس
بيطلع ناس
على ظهر الشعب المسكين

*

ببتغير السياسة
ببتبدل الرياسة
لما بتضيع الطاسة
ببتقسم الغنائم
على ظهر الشعب المسكين

*

ببتشكل الوزارة بغمزة
من فوق وإشارة
بيجي درويش طبارة
بيقووص فتّيش وسهوم
على ظهر الشعب المسكين

*

بيطلع مجلس النواب
بتزلغظ الأحباب
والخدّام والحجّاب
بتتعيّن عالآبواب
بتتعيّن المحاسيب

على ظهر الشعب المسكين

*

وإن طار عجز بالآخر
بتتشطبّ الدفاتر
رسوم وضراب

على ظهر الشعب المسكين*

* عمر الزعني مولير الشرق ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

في كل ضيعة قديسة

بين سنتي ١٩٤٦ و١٩٤٧ أنشد عمر الزعني هذه الأغنية، متناولاً فيها حقيقة الشعب اللبناني، ولنا أن نعتبر. قال:

في كلّ ضيعة قديسة
فيها جامع وكنيسة
بدنا مين يخلّصنا
من هالحالة التعيسة

*

السّن بيضحك للسّن
والقلب جواً ما بيحنّ
والمشاكل ما بتكنّ
شو هالأمه التعيسة

*

بالظاهر كلنا إخوان
بالباطن أشكال ألوان
متظاهرين بحبّ الأوطان
تحت ستار القديسة

*

عالعالي بدنا استقلال
عالوطني جيش احتلال

يا ضيعان هيك رجال
وهالنفوس الحبيسة

*

في الجرايد منهلل
في المعابد منلعل
في كلّ مشكل مندخّل
محمد وموسى وعيسى

*

وعلتنا متنا وفينا
والي فينا بيكفيينا
بدنا مين يشفيينا
من الأمراض الخبيثة*

* عمر الزعني موليير الشرق ص ٢١٨ - ٢١٩ .

أمّ الجاكيت

في أواخر الخمسينات غنّى عمر الزعني هذه الأغنية وقال ممهداً: لَمَّا
السَّاتَّ اخدو حقوقهن السياسية، والأدبية والاجتماعية وتوظفو بالدواير، وتعيّنو
بالبلدية، بالبريد بالمطار بالهاتفون، كتر لبس الجاكيت والبنطلون، صار لازم
تغني الناس «يَمّ الجاكيت والبنطلون»:

يَمّ الجاكيت والبنطلون
شفتك واقفة فوق البلكون
خَمَّنتك شَبَّ يا مدموزيل
لا تواخذيني، بردون، بردون

*

شفتك لابي بيديه وكاسكيت
ودايره بالسوق بشباب البيت
من غير بودره من غير توالت
وقاصّي شعرك ألا غرسون
خَمَّنتك شَبَّ يا مدموزيل
لا تواخذيني، بردون، بردون

*

وشفتك طالعة بالليل وحدك
رايحه جايبى وين ما بَدَّك
طالعه من هون، نازلي من هون
خَمَّنتك شَبَّ يا مدموزيل

لا تواخذيني، بردون، بردون

*

شفتك مرّه بعربيه «بويك»

طالعه بالليل من فيلا شيك

وعلى جنبك ست شيك وسمباتيك

وعمتمايل عالدركسيون

خمنتك شبّ يا مدموزيل

لا تواخذيني، بردون، بردون*

* عمر الزعني مولير الشرق ص 612-613.

يا ضيعانك يا بيروت

في سنة ١٩٣٨ صرخ عمر الزعني «يا ضيعانك يا بيروت»، ولا تزال هذه الصرخة هي هي حتى اليوم.

يا ضيعانك يا بيروت
يا مناظر غشاشة
يا عروس بخشخاشة
يا مصمودي بالتابوت
يا ضيعانك يا بيروت

*

الجهلاء حاكمين
والأرزال عايمين
والأنذال عايشين
والأوادم عم بتموت
يا ضيعانك يا بيروت

*

الخامل حامل نيشان
والسافل لو قدر وشان
يا ضيعانك يا بيروت

*

الغريب بـيتمخطر
والقريب بيتمرمر
واللّي ييفوت ما بيضهر
واللّي ييضهر ما بيفوت
يا ضيعانك يا بيروت*

* عمر الزعني موليير الشرق ص ٧٨٠.

شي بيحير

قال عمر الزعني عن عيشتنا وكيفيتها «شي بيحير» وذلك سنة ١٩٢٨ :

شي بيحير

شي بيظفر

شي بيكفر

شي بيثيل الدين.

منعمر

مثمر

وظفرانين

منصيف

ومنكيف

ومديونين

مناكل حاف

وبلا لحاف

ومبودرين

متأمبر

منتشتر

وجوعانين

منتستر

ومنبرز

وعريانين

منركض ركض
منطوي الأرض
ومسبوقين

منطبل
ومنزمر
وحزنانين
منعيط
ومنشيط
وملجومين
راح المال
والرسمال
ومبسوطين
حال وحال
وما في حال
وفرحانين
منفرح يوم
منبكي دوم
وفرحانين
والمساس
بضهر الناس
وممنونين
عيشة خلط
وما في ضبط
وكيف عايشين؟!*

* عمر الزعني مولير الشرق ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

متفرقات

مصادرة

في عهد الانتداب ندد اسكندر الرياشي في جريدته «الصحافي التائه» بإحدى الحكومات السورية وانتقدها انتقاداً جارحاً، فما كان من الحكومة السورية إلا أن أصدرت قراراً بمنع دخول الجريدة ومصادرة أعدادها. وفي اليوم التالي للمصادرة كتب اسكندر الرياشي في الصفحة الأولى وضمن إطار أحمر مقالاً ورد فيه:

«قبض على «الصحافي التائه» في دمشق كصحيفة وليس كرجل واقتيد إلى سراي المرجي (مقرّ الحكومة السورية) حيث مُزّق وأمر أن تمسح به الأفقية، وقد اتضح بعد التحقيق أنّ الذين مسحوا بالصحافي التائه أصبح في أفقيتهم من الظرف والأدب أكثر ممّا في رؤوسهم»*.

* الظرف وظرافات ص ٨٩.

كفن الباحث

فضى العالم العلامة عيسى اسكندر المعلوف عمره بين كتبه وأوراقه في بيت جعله كلّه مكتبة تحتوي آلاف المجلّدات النادرة. وقد زاره يوماً أحد أصدقائه فوجده غارقاً في بحر تلك المكتبة، والكتب والأوراق أكداس مكدّسة حوله فقال له: أشفق على نفسك، فهل أنت كذلك الكليّف الذي كان كثير السكر، فلما أشرف على الموت قال:

اجعلوا، إن متُّ يوماً، كفني
وَرَقَّ الكرم، وقبري المعصرة
وادفنوني وادفنوا السراح معي
وَوَضَعُوا الكاساتِ حول المقبرة
فأجاب المعلوف: وأنا أشدّ كلفاً في الكتب، وأعارضه بقولي:

اجعلوا، إن متُّ يوماً كفني
وَرَقَّ الكُتُبِ، وقبري المكتبة
وادفنوني وادفنوا الكُتُبَ معي
وانشروا الأوراق حول المرْتَبَةِ*

* البيدر، السنة ٣٠، العددان ٤٧٦ و٤٧٧، ٢٥ أيلول ١٩٧٣، ص ٦.

سْتِي

كان المجمع العلمي منعقداً في دمشق وكان من أعضائه البارزين العلامة عيسى اسكندر المعلوف، فدخل أحد الشعراء الهجائين وهو من آل «سْتِي» وقال لهم: أنا آتٍ لأهجوكم. فامتعض المعلوف وحاول اسكات الشاعر فلم يفلح فانسحب من الجلسة ثم عاد وقاطع الشاعر الهجاء بقوله:

تَحَاشَى الْمَجْمَعُ الْعِلْمِيُّ عَمَّا
نَسَبْتَ إِلَيْهِ مِنْ زُورٍ وَبُهْتٍ
أَرَى التَّحْرِيفَ دَأْبَكَ دُونَ شَكِّ
أَمَّا حَرَفْتُ «سِيدَتِي» بِـ «سَيْتِي»؟*

* البيدر، م.ن.

آفات الثمانين

عندما بلغ المعلوف الثمانين من العمر زاره أحد أصحابه وهو طريح الفراش فقال له: لقد قال قبلك شاعرٌ في الثمانين:

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبَلَّغْتُهَا
قَدْ أُحْوِجْتُ سَمْعِي إِلَى تَرْجَمَانِ

فردّ المعلوف ارتجالاً:

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبَلَّغْتُهَا
قَدْ حَمَلْتُ عَيْنِي نِظَارَتَيْنِ
وَنَهَكْتُ مَنِّي صَحِيحَ الْقَبْرِ
فَحَمَلْتُ أُذُنِي سَمَاعَتَيْنِ
شَيْخُوخَةً قَدْ نَعَّصْتُ عَيْشَتِي
ذَكَرْتُ مِنْ آفَاتِهَا آفَتَيْنِ*

* البيدر، م. ن.

قاضي قاسٍ

قال داود عمّون يصف قاضياً عرف بقسوة أحكامه :

يا قاضياً لو أتوه بطفلةٍ فوق مهدٍ
وأنهموها بنقلٍ الأهرامِ في يوم شَرِدِ
لجاءها منه جُكُمٌ يقضي بحبسٍ وجَلْدِ
فلا البداة تُغني ولا المحاماة تُجدي*

* الضاحكون ص ١٥٧ .

تذكار

تعرفت إحدى المصطافات على أديب لبناني وقد بادلته الحب.
ولما انتهى الصيف، تركت له كلباً، على سبيل التذكار، فهنأه أحد
الأصدقاء بقصيدة جاء فيها:

وقد كان يأتيها وتأتيه في الدجى
فيشرب من خمير الغرام ويسكر
وأهدت إليه كلبها يوم سافرت
ليذكرها، والشيء بالشيء يُذكر*

* الضاحكون ص ٣١٢.

أبو الركب

أصيب الشاعر والقاضي الشيخ يوسف زخريا بأبي الركب، فأرسل إلى الشاعر عبد الرحيم قليلات، وكان مشهوراً بسمته وخفة روحه، بهذه الأبيات:

أَوْهَلُ عَرَفْتَ أبا الرُّكْبِ
فَهُوَ الْعِلاجُ الْمُسْتَحَبُّ
لِلْكَرْشِ يَحْرُقُ دَهْنَهُ
وَالشَّحْمِ يَذْهَبُ فِي لَهَبِ
زُنْزِي وَخَذَهُ إِنَّهُ
زَهْنٌ لِأَمْرِكَ وَالطَّلَبُ
فِيصِيرَ جِسْمُكَ مِثْلَ رُو
جِكَ فِي الرَّشَاقَةِ وَالْأَدْبُ

فأجابه قليلات:

عُوفِيَتْ يَا شَيْخَ الْعَرَبِ
وَعَفَتْ جِيوشُ أَبِي الرُّكْبِ
مَا لِي وَعُودَتِكَ الَّتِي
لَمْ تَجْنِ لِي غَيْرَ التَّعَبِ
بَيْتِي كَمَسْتَشْفَى وَقَدْ
كَمَلْتُ بِأَسْقَامِي النُّوبِ
فَافْرَحْ بِمَا أَعْقَبْتَهُ
وَتَهْنُ يَا دِيكَ الْحَطَبُ*

* الضاحكون ص ٣٩٦.

فيفي

دخل الشاعر إيليا أبو ماضي على صديقه وليم كتسفليس، وكلاهما كان عضواً في الرابطة القلمية التي تأسست في نيويورك وترأسها النابغة جبران خليل جبران، فوجده مغتماً، وبين يديه كلبته «فيفي» جثة هامدة، فرثاها أبو ماضي قائلاً:

عَضُّهَا الدَّهْرُ بعدما عَضَّتِ النَّاسَ
وَأَدَّتْ مَهْمَةً الحَجَابِ
كَمْ فقيرٍ أتى لِيَشْحَذَ قوتاً
حُرْمَتُهُ فيفي وُلُوجِ البَابِ
وَعَرِيمٍ قد جاءَ يَطْلُبُ دَيْناً
تَرَكَتُهُ معقراً في الترابِ
وَشَقِيٍّ أتى لِيَسْرِقَ بيتاً
غَادَرْتُهُ ممزق الأثوابِ
رحمةُ اللَّحْمِ والعظامِ عليها
وصلاةُ الصَّحونِ والأكوابِ*

* الضاحكون ص ٢٦٦.

كلب أبيض وكلب أسود

اتخذ المتصرف مظفر باشا لأمانة سرّه رجلاً من آل الأسود، كان يجلسه دائماً في ديوانه ويطلعه على أسراره ويسمح له بالتدخل في شؤونه، كما كان يقتني كلباً أبيض يحضره معه إلى ديوانه. فنظم فيه الشاعر تامر الملاط البيتين الآتيين:

صار «المزفر» في البلاد مظفراً
وغدا الجنود له تقوم وتعد
وأمامه كلبان: كلب أبيض
يرعى الوفاء له، و«كلب أسود»*

* لثلا تضيع ص ٢٠٧.

اشترِ حماراً يصير عندك حماران

أراد رجل أن يعَلِّم ابنه في الجامعة الأميركية في بيروت، فطلبت منه الإدارة رسماً مدرسياً مقداره خمس ليرات عثمانية.
وكان الرجل سامعاً بفضله فان ديك، فقصده طالباً منه التوسط لدى الإدارة لتخفيض قيمة الرسم. فقال له فان ديك إنَّ الرسم ليس باهظاً.
فصاح الرجل: ولكنني استطيع، يا سيدي، أن أشتري بهذا المبلغ أحسن حمار من هذه البلاد.
فقال فان ديك بكل هدوء: عندئذٍ يصير عندك حماران*.

* لثلا تضيع ص ٢٣٦.

قهوة البنّ حرام

يروى أنّ مجلساً ضمّ الشيخين يوسف الأسير وناصر اليازجي، حيث
قدّمت إليهما القهوة، فامتنع الأسير عن تناولها وقال على البداهة:
قهوة البنّ حرامٌ قد نهى الناهون عنها
فما كان من الشيخ اليازجي إلّا أن تناول فنجاناً وقال:
كيف تدعوها حراماً وأنا أشرب منها؟!*

* لثلا تضيع ص ١٧٢.

كذّابين

التقى زغلول الدامور بكروان الوادي، وكان الزغلول قد تأخر عن
الموعد، فقال له الكروان:

إنّتمو بالقرن العشرين
من الجماعة المبغوضين
تقيّد اسمك يا زغلول
في قائمة الكذّابين
فأجابه الزغلول:

كلّك لطف وكلّك ذوق
وحتّى شوفك عندي شوق
بيقائمة الكذّابين
اسمي تحت واسمك فوق

كاس وراس

في جلسة على كأس عرق جمعت الشاعرين شحور الوادي وعلي
الحاج.

قال علي:

يا كاس الخمره يا كاس
يا الكلك رقه وإحساس
بعلمي عا بطني بوديك
كيف شكل بتطلع عالراس

فأجابه الشحور:

الخمره عنك مش راضي
روح تشكى للقاضي
بتلاقي بطنك مليون
بتطلع عامطرح فاضي

ليلى وبيها

في حفلة أقامتها فرقة الزغلول في مغدوشي ليلة عيد السيّدة سنة
١٩٤٩، قال سليم الفرّان متغزلاً بفتاة اسمها ليلى:

ليلى الجميلي عندما قرّ القرار
وحاوطوها عاليمين وعما اليسار
بيّا رضي فتيّ، وسأل مين بدّها
نادت عا راس السطح بدّي الاختيار
فأجابه ميشال قهوجي مازحاً:

يا ناس ليلى مين طالع زيّها
عرفتسا جميلي و بنت زينة حيّها
وما زال راضي بيّها بالاختيار
ما أجذب من البنت إلا بيّها

عضة الدهر

أدخل النائب الأديب ادوار حنين مستشفى رزق في بيروت لمعالجة ألم
أصابه برجليه، فزاره الشاعر اميل رزق الله، وقال له:

شو هالدهر الهيك وهيڪ
ظهر في لوتار عليك
ما قدر ليك براسك
نخّ وعضّك بياجريك

وكيل سيويه

الاستاذ جان جلخ، نقيب سابق للمحامين، كان يتقن المرافعة بالعربية والفرنسية على حدّ سواء. ذات يوم أدلى الجلخ بدفاع رائع، وكان بين الحاضرين الاستاذ ميشال، وهو نقيب سابق للمحامين أيضاً، فاستوقفه وقال له:

- أجدت يا أستاذ. ولكن الضوابط (ضوابط اللغة وقواعدها) ليتك تتنبه إليها قليلاً.

فرد الاستاذ جلخ مع ابتسامة مازحاً:

- ليش موسوس كل هالقدّ عاللغة؟ أي متى وكلك سيويه عنو؟*

* نواذر القضاة والمحامين ص ٥٤.

البيرق

كتب المحامي الأديب عصام كرم، مرّة، إحدى المقالات السياسية في
جريدة «البيرق» فحكمت عليه محكمة المطبوعات بالسجن، واستبدل حكم
السجن بغرامة مالية مقدارها مئة ليرة لبنانية.

والتقاه بعدها الدكتور الظريف يوسف شراييه وأنشده قائلاً:

قاضي المطبوعات ديّوس

و«بيرق» عاطيزو فانوس

شايفك رح بتفلس

وتقضي عمرك محبوس*

* نواذر القضاة والمحامين ص ٥٦.

حبة مسك وزيادة

سأل المحامي نظير الخليل قاضي المدينة انطوان شدياق، وكان قاضياً في بشري، عن سلسلة الأحكام التي يصدرها تبعاً في الأجواء الأمنية المضطربة. فأجاب القاضي الشدياق:

عنا قضايا بلادي
منحلاً عالقراًدي
حق المتقاضى منصان
وحبة مسك وزيادي*

* نواذر القضاة والمحامين ص ٥٨.

بيكفوني

اشتهر النائب الدكتور الياس الخوري بأنه ظريف وصاحب نكتة. دخل مطبخ بيته يوماً، فوجد «فخاض» اللحم معلقة، وهي هدية من مريض عاينه دون أجر. عندئذ قال:

أفخاض إجو يهدوني
وفيها افتكروا يرضوني
ما عرفو أئو بباريس
كان فخضينُ بيكفوني؟!*

* الزجل اللبناني شعراء ظرفاء ص ٢٠٨.

كرت الإعاشة

أيام الحرب العالمية الثانية، فرضت السلطات التقنين، ووزعت القمح والشعير وباقي الحبوب بموجب بطاقة عرفت بـ«كرت الإعاشة». وفي إحد السهرات التي جمعت بين رشدي المعلوف وصديقه أنيس عقل، قال عقل للمعلوف:

ما زالو سوقك ماشي
وضرسك متل الكمّاشي
وقاضيها من بيت لبيت
بيعو كرت الاعاشي

فردّ رشدي:
هالفكرة عجبتني كثير
ما ضروري كثير التبذير
مقدّم كرت الاعاشي
ما زال الاعاشي شعير*

* الزجل اللبناني شعراء ظرفاء ص ١٦٦ .

واقف صورہ

مرّة تغیب الدكتور يوسف شراييه عن المجلس الاسبوعي عند الخوري يوسف عون. وفي الاسبوع التالي، وفور دخوله، سأله الخوري: وين كنت الجمعة الماضي، انشغل بالنا عليك؟

ابتسم شراييه وأجاب بصوت خافت: رحّت عالکورة. والخوري يعرف أنّ شراييه، أيام الشباب، كان يحبّ صببة في الكورة، فعاد وسأله: خدتلا شوکولا؟

کبرت ابتسامة شراييه وأجاب: ما عاد عندا سنان. وضحک ثم قال له الخوري:

ختيار وواقف صورہ
شوفي رايح عالکوره
فلحتا فلاحه أنت وشبّ
ضروري عالنیري تزورا*

* الزجل اللبناني شعراء ظرفاء ص ۱۳۷.

تمتعوا

سنة ١٩٦٤ أصدر المونسنيور يوسف سيده (مقيم حالياً في الولايات المتحدة) كتاباً كبير الحجم، أنيق الطباعة، ضمَّنه مستندات ووقفياته لبلدته زغرتا- إهدن بولاية البطريركية المارونية. وحمل الغلاف رسم حمامة تحمل في منقادها شعاراً يقول: اعملوا لحياة الأبد. وقد وزعه المؤلف على أنسابه وأصدقائه والأهالي. وفي جولة التوزيع التقى المونسنيور بالمهندس الشاعر حسيب غالب، جالساً «يؤركل» في مقهى بولس دحدح - الميدان في إهدن، فقدم له الكتاب دون توقيع. طلب الشيخ حسيب منه أن يوقعه فقال له المونسنيور:

- اكتب يا شيخ ما تريد وأنا أوقع.

عندئذ كتب الشيخ حسيب غالب هذين البيتين:

يا أهل إهدن لن تطول إقامتي
في أرضكم ما بين أهل شهامة
فإذا أتاني الموت لا تبكوا الذي
يهواكم، وتمتعوا بحمامتي

عالفاضي

بلبل الكورة الشاعر توفيق عبده (دار شمزين) أغراه مرّة صديق له
بالذهاب إلى أحد المستشفيات ليعرفه إلى مريضة... في المستشفى لم
يسمح لهما بالدخول، في حين كانت النساء والفتيات يدخلن دون إذن، فقال
البلبل:

عالمستشفى بها الأوقات

جينا وما استقبلتونا

كيفتا بتخلّو الستات

ونحننا ما بتخلّونا

وبعد التي واللتيا دخل شاعرنا وصديقه وزارا المريضة... ولكن

سرعان ما خرجا ولسان حال البلبل يقول:

ضحينا وما اعطينا سكوت

تانشوف الوجه الراضي

ريتن ما خلّونا نفوت

ولا تعذبنا عالفاضي

حجّ وكنيسة مار مارون

الشاعر علي الحاج المشهور، أحد أركان جوقة شحرور الوادي، كان يشرب كأساً من العرق في منزل صديقه الشاعر أسعد السبعلي في الجميزة - بيروت قرب كنيسة مار مارون. وفيما هما بين أخذ ورد، وكأس تترع وأخرى تفرغ، دخل شاب وسأل علي الحاج قائلاً: وين كنيسة مار مارون؟

فأجابه الحاج علي الفور:

بيت أسعد للشعر محجّ

شفنا الإلفة كيف بتكون

ماروني عم يسأل حجّ

وين كنيسة مار مارون

محسوبيك حلاق

بولس عبد الله حلاق، ترك مهنته وحول محله إلى محل لبيع الألعاب وأوراق الياصيب. منذ زمان ينظم القرادي في الغزل والمناسبات. مرة تحرش بصبية، وكان في عزّ طلعتة، ومحله تحت عريشة سمعان القارح، المحل والعريشة أزيلا مع البيوت المجاورة، لتقوم مكانها ثانوية زغرنا الرسمية. الصبية سألته: من أنت؟ فأجابها قائلاً:

محسوبيك واحد حلاق
تحت العريشة محلّو
قدّيشو عليكى مشتاق
مولّع فيكي يا دلو
ويوسه من خدك لوداق
بيعيف العالم كلّو
وبكنيستك بعمل شدياق
برتل والناس يصلّو
هللّويا عالعثاق
وتشبحتو لمريو بقلّو

غنجت الصبية وقالت: لم أعرفك بعد؟

فقال بولس:

قديشك حلوه وما شالله
جبلك بإيدو الله
وان سألتى عن إسمى
إسمى بولس عبد الله

ذهب أصلي

سرق أحدهم حلى الأدبية الأنسة سوزان بعيني مديرة ثانوية زغرتا،
وأمانة سرّ الرابطة الأدبية الشمالية، من ذهب وغيره: أساور، حلق، عقود،
خواتم... الشاعر فؤاد نعمان الخوري (من بحوثنا قضاء طرابلس) صاحب
دواوين «دعسة ناقصة» و«معزوفة الحزن العتيق» و«مجدك يجي» لم يترك
المناسبة تمرّ دون مداعبة حلوة، فقال للأدبية سوزان:

طمّنتي واتطمّنتي ولجيرانك إمّنتي

لو بدّّن ذهب أصلي كانوا سرقوكي إنتي

كلاب باريس

قرأ الأديب الأب طانيوس منعم، ذات يوم، في إحدى الصحف اللبنانية خبراً مفاده أن الكلاب في باريس تعلّمت احترام قوانين السير والشارة الضوئية. ولم يمض على قراءته الخبر بعض الوقت حتى شهد سائقاً مخالفاً شاهراً مسدسه بوجه شرطي السير، فتألم الأب منعم وكتب الأبيات الآتية:

إنّ الكلاب ترى للسير ضابطة
في شارة هي حمراء وخضراء
تَدْرَبَتْ قَوَعَتْ لونا يقول لها
سيرى، وآخر إنّ السُّيْرَ إخطاء
تقعي فتقرب ما يُعطي لناظرها
فيستبين لها حَتُّ وإبطاء
ذواتُ أربَعِ أذكى في تمرّنها
من ذي اثنتين له عقلٌ وحباء
وذاتُ نابٍ لها رَفَقٌ بصاحبها
ورأفةٌ بِذَوَاتِ الجنسِ بيضاء
لا يَسْتَبِدُّ بها حَقْدٌ وَمَوْجِدَةٌ
وشهوةٌ لِسَفاحِ الدَّمِ حمراء
كلابُ باريسَ لابنِ الأرزِ موعظةً
تُلقي عليه دروسَ السُّيْرِ عجماء

شماتة

رأى الشاعر خريستونجم في إحدى المجلات صورة التي أحبها، ولم يكن له معها نصيب إلا نصيب الحب، فكتب إليها شامتاً ولائماً ومتسائلاً: أهذا مجدك الآن؟ وقال:

مدامُ فلانُ أقرأها

بِذَيْلِ الرَّسْمِ عُنْوَانَا

فيا خَجَلِي ويا أَسْفِي

على الماضي الذي كانا

أهذا المجدُّ أن تتألقي

شالاً وفُستنانا؟

وَرَسْمًا كُنْتُ أَعْبُدُهُ

فصارَ اليومَ شيطاننا

وَوَجْهًا فِي تَبْرِجِهِ

أرى صُورًا وَالْوَانَا

وَهُدْبًا لَسْتُ أذْكُرُهُ

بهذا الرَّمَشِ مُزْدَانَا

وَأَصْبَاغًا وَأَقْرَاطًا

وسلسلةً وتُعباننا

أيا كِمْبَارِسُ يَا مَلْهُيْ

رخيصَ الفنِّ مَجَانَا

كلنا للفتن

عُرف الأديب والرسّام والناقد يوسف النعيمي بلسعته الموجهة. من هذه اللسعات نشيد دبّوري (نسبة إلى مجلة الدبور التي كان يحرر ويرسم فيها) نظمه على وزن النشيد اللبناني، إنّما بمضمون... كأنه كتب لنا في هذه الأيام الرديئة. والنشيد هو:

كلُّنا لِفِتْنٍ لِبِلا لَلألم
عِشُّنا في الوَطَنِ عِبْرَةٌ لَلأمم

*

ما عرانا اتّصالُ
كلُّنا في انفصالُ
ما عرانا ائتلافُ
كلُّنا في اختلافُ

*

سَهْلُنا والجَبَلُ
قولنا والعَمَلُ
منبتٌ للشقاء
في سبيل الفناء

*

شيخنا والفتى
هم أسودُّ متى
ما وراء البحور
عاد مَنْ في القبور

*

شَرُّنا قَلْبُهُ
زادَهُ رَبُّهُ
أبدأ في اضطراب
حَسداً واحتراب

*

بَحْرُهُ بَرُّهُ
رفدُهُ
دُرَّةٌ ضائِعَةٌ
عَظْمَةٌ هاجِعَةٌ
بِرُّهُ

وجري

التقى الروائي يوسف يونس، ذات يوم، بحسنا تتردي «الماكي»
فتململ الشعر في خاطره، وقال لها:

جَرَزَتِ السَّذِيلَ تِيهَا فاستمري
وجري ما استطعتِ أن تجري
ففي الفضفاضِ طولاً واتساعاً
جمالُ يَزْدري قُبْحَ التعمري

أسرع

كان الشاعر بولس سلامة قاضي تحقيق في الشمال، وكان الشاعر الكوراني أنيس روفایل مساعداً قضائياً. ويوصف سلامة نائباً عن رئيس المحكمة أثناء العطلة القضائية أجاب طلب روفایل مرتين بالانصراف من العمل يوم الجمعة بدل السبت. ودعته الحاجة إلى طلب الإذن مرّة ثالثة، فقدم لسلامة هذه الأبيات:

طيفُ الحبيبةِ يدعوني لرؤيتها
وهاتفُ القلبِ للإسراعِ يدعوني
شوقٌ وحقُّ الهوى العذريُّ يُؤلمني
ما بحثُ بالشوقِ حتى كادَ يكويني
أجزُ بِرَبِّكَ لي ذا اليومِ رؤيتها
فإنْ فَعَلْتَ فخيرَ الفضلِ تُولينني
أريدُ يوماً فلا تبخلْ عليَّ بهِ
طلبتُ يوماً وعمامٌ ليس يكفينني
من ذاقَ مثلكَ طعمَ الحبِّ رَقُّ علي
صبُّ بحُسنِ فتاةِ الحيِّ مفتونِ

فأرسل الشاعر بولس سلامة إليه على الفور:

إلى الحبيبةِ أسرعُ قد أجزناكا
وأهناً بمرأى التي تهوى وتهواكا

هوي والكركي

الشيخ ناصيف الشمّر صديق الأدباء والشعراء، هو أيضاً صديق الكركي ونديمها في ليالي الجبل والكروم. دعاه الشاعر فؤاد نعمان الخوري إلى مسقط رأسه بحويتا لقضاء سهرة حول الكركي وبعدما طال السهر وفضيت الكاسات وداخت، قال فؤاد مداعباً:

جانا الشيخ ويخزي العين
كاسين بضهر الكاسين
ويعرق هوي والكركي
صاروا بديل الكركي تنين

كما الأب كذلك الابن

كان للشيخ حسيب غالب، المهندس الشاعر، صديق تعود زيارته في طرابلس ومعه ابنه الوحيد. ذات يوم أقبل الصديق وابنه إلى بيت حسيب، الذي لم يكن يتوقع هذه الزيارة، فأخفى عنهما امتعاضه، وخلال الحديث سأله الوالد: ما رأيك يا شيخ بابني؟ فأجابه شاعرنا على الفور مداعباً:

لي صديقٌ مخلصٌ يُدعى حَمْدُ
قد أتى الدُّنيا لتكميل العَدَدِ
فهو بينَ الناسِ أخرى والدِ
وابنُه ما بينهم أخرى وَلَدُ

تصفيق... لها

أحسن الشاعر خريستو نجم بالضجر، وهو يستمع إلى أحد المحاضرين، ولم يشأ الخروج تادباً، فأدار عينيه في الجمهور، فرأى صديقة له، وهي سيدة حلوة، تجلس على رمية نظر يميناً، عندها قرّر أن يدير أذناً صوب المحاضر، والعينين إليها، ويصفق مع المصفقين... لها.

بعد المحاضرة اقترب الشاعر من صديقتة، وأخبرها ما جرى معه، ثم سألها إذا ما كان الناس يصفقون له في أمسياته الشعرية أم لها. وكانت هذه الأبيات:

| | |
|----------------------|------------------|
| كنتُ هناك حاضراً | وكنتِ أنتِ حاضرة |
| أرنبو إليكِ خلصة | وأسمعُ المحاضرة |
| ما كان أحلى ما يقال | حبّذا من خاطرة |
| صفقتُ من قلبي لها | ثانيةً وعاشرة |
| أهكذا الناسُ تُرى في | أمسياتي الشاعرة |
| قد صفقوا لأنهم | راؤك مثلي حاضرة؟ |

وكتب علي الحاج:

أهل الغرام بغمزتين بيرتشو
بيسرقو قلوب البشر ما بيختشو
يا ريت إنّي عسكري وأعمى البصر
تاضلّ بقبش عالحرامي واكمشو

الخيزران

في مقهى الخيزران، بين صيدا وصور (لا نعرف ما إذا كان لا يزال قائماً) جلس ذات يوم القاضي الشاعر أنيس روفليل، وقبالته حسناء جميلة. أخذها جمالها وحسن قوامها، فنظم هذه الأبيات:

جَلَسْتُ بِمَقْهَى الْخَيْزِرَانِ
حَسَنَاءُ مِنْ أَبْهَى الْحَسَانِ
فَكَانَتْهَا جَاءَتْ إِلَيْهِ
تَزِيدُ فُتْنَتَهُ افْتِتَانِ
وَكأنه مِنْ قَدْهَا
أَخَذَ اسْمَ مَقْهَى الْخَيْزِرَانِ

الشكر بزلغوفة

أفهم القاضي إميل أبو سمرا المدّعية أنّ قضيتها بسيطة، وشرح لها ما
يجب عمله لتكتمل أوراقها، فشكرته بزلغوفة:

ربّ السما ع رقابنا ولأك
وعينك قاضي علينا وعلاك
أويها يا حضرة القاضي
كل سنة تعتلى مدماك
ضحك القاضي أبو سمرا وقال لها اغلقي باب قاعة المحكمة وتقدّمي،
وأجابها بالزجل:

عطرك بالأوضة عابتق
القول لغيرك مش لابتق
ع حسابك قدّيش بدّي
ت عمّر لي شي طابتق؟*

* الزجل اللبناني شعراء ظرفاء ص ١٥٨.

ما في داعي

عاد الشاعر طانيوس الحملاوي من السفر، وما إن وصل إلى مطار بيروت، حتى بدأ رجال الأمن بتفتيش حقائبه، فقال لهم:

ما في داعي للتفتيش
بعد الرحلة المشهورة
راجع دفّ بلا خشاخييش
والدربكّه مكسورة

وكان الحملاوي على ظهر الباخرة في طريقه إلى الغربية، عندما ثار محيط الاطلنتيك وهاج، وقال له الرّدة المعروفة:

بتمرجل يا أطلنتيك
والحملاوي مسافر فيك
إن الله لقطني بالبّر
ونقفت الدفّ بفرجيك

فهرس المصادر والمراجع

- البيدر (مجلة). صاحبها وليم صعب.
- الجعبة الأخيرة. سعيد فريحة، دار الصياد، ١٩٧٨.
- الحكمة (مجلة).
- ديوان رستم. أسعد رستم، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩٠٨.
- ذكريات. شاهين القزّي، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٠.
- رسائل مارون عبود. مارون عبود، دار مارون عبود، ١٩٧٧.
- الرستميات. مطبعة جريدة النسر اليومية في ٦٠ و ٦٢ شارع واشنطن نيويورك.
- الزجل اللبناني، شعراء ظرفاء. جوزف أبي ضاهر، دار كنعان، ١٩٩١.
- صوت الشاعر (مجلة). صاحبها روبر الخوري.
- الضاحكون. محمد قرة علي، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٨٠.
- الظرف وظرافات. فؤاد توفيق المشعلاني.
- لثلا تضييع. سلام الراسي، مؤسسة نوفل، بيروت.
- مارون عبود، لطائف وطرائف. رياض حنين، دار مارون عبود، ١٩٨٦.
- مجمع المسرّات. الدكتور شاكّر الخوري، قدّم له د. الياس قطار، دار لحد خاطر، بيروت، ١٩٨٥.
- مع الشعراء... عبّر وأبّر. إعداد انطوان القوال (مجلة الشمال وكالة أنباء الشرق).
- منجيرة الراعي. أسعد السبعلي، مطبعة ستاركو، ١٩٦٩.

- نكات خازنية، ١ و ٢، رياض حنين، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٨٠.
- النكتة اللبنانية تنمة لحضارة حلوة. د. أنيس فريحة، جروس برس، طرابلس، ١٩٨٨.
- نوادر القضاة والمحامين. المحامي نزيه شلالا، دار صادر، بيروت، ١٩٩١.
- وجوه ومرايا. محسن أ. يمين، منشورات البيت الثقافي زغرتا-الزاوية، ١٩٩١.

ظرفاء لبنان

الظريف هو الشخص الذي يتمتع بالذكاء المقرون بالبراعة، وبسرعة الخاطر، والكياسة واللياقة في التصرف والقول والمظهر. وهو إلى ذلك فكه ضحوك، في نكاته، وردوده، وتعليقه على قول أو حدث. وكثيراً ما يشيع كلامه، ويصبح قولاً سائراً يُردّد في مثل المناسبة التي قيل فيها.

جاء في كتاب «الظرف والظرفاء» للوشاء:

«اعلم أنّ من كمال أدب الأدياء، وحسن نظرف الظرفاء، صبرهم على ما تولدت به المكارم، واجتنابهم لخسيس المآثم، وأخذهم بالشيم السنية، والأخلاق الرضوية... يتسرّعون إلى الأمور الجليلة، ويتبطّأون عند الأشياء الرذيلة، فهم أمراء مجالسهم، بهم يفتح عسر الأغلاق، وبهم يتألف متنافر الأخلاق، تسمو إليهم الآماق، وتنثني عليهم الأعناق، ولا يطمع في عيهم المائب، ولا يقدر على مثالبهم الطالب...».

بيبرسات

للنشر والاعلام والتوزيع

ص.ب 13/5261 بيروت - لبنان.

هاتف: 802389 - 865126